الأندلسي: 2/ كتاب مصور:

د. عبد السلام البسيوني

ضيعة العم هارون

قطعة حية من الأندلس القديمة

أكتوبر 2015

جادك الغيث إذا الغيث همى يا زمان الوصل بالأَندلسِ
لم يكن وصْلُك إلاّ حُلُمًا في الكرى أَو خُلسة المختَلِسِ

أَيّ شيءٍ لامْرئٍ قد خلُصا فيكونَ الرّوضُ قد مُكِّن فيهِ
تنهب الأَزهار فيه الفُرصا أَمِنَت من مكره ما تتّقيهِ
فإذا الماء تناجى والحصى وخلا كلّ خليلٍ بأخيه

تبصر الوردَ غيورًا بَرِما يكتسي من غيظه ما يكتسي
وتَرى الآس لبيبًا فهِما يسرقُ السمْع بأذنيْ فرَسِ

العم هارون و(أبو البكاء) الرندي

أشهر من رثى الأندلس وبكاها وناح عليها: الشاعر أبو البقاء صالح بن يزيد الرندي، من رندة Ronda القريبة من الجزيرة الخضراء، في قصيدته الشهيرة التي نظمها بعد سقوط عدد من المدن الأندلسية، يستنصر أهل العدوة الإفريقية من المرينيين، عندما أخذ ابن الأحمر محمد بن يوسف أول سلاطين غرناطة في التنازل للإسبان عن عدد من القلاع والمدن، إرضاءً لهم، وأملًا في أن يبقي ذلك على حكمه غير المستقر في غرناطة، وقد ذاع صيت أبي البقاء بذيوع القصيدة، وصارت أيقونة رثاء، وفي مطلعها قال:

لكل شيء إذا ما تم نقصانُ فلا يَغر بطيب العيش إنسانُ

هي الأمور كما شاهدتَها دول من سره زمنٌ ساءته أزمان

دهى الجزيرةَ أمر لا عزاء له هوى له أحدٌ وانهد ثهلان

وسن الرندي البكاء على الممالك، ليتبعه كثيرون، خصوصًا من رثوا الأندلس بدءًا منه، وليس انتهاء بنزار قباني، وقد كتبت أطرافًا من ذلك في كتابي (الأندلسي) في جزئه الأول.

لكن جاء بعده بنحو سبعمائة سنة موريسكي مختلف الطبيعة والتفكير؛ لا ليرثي الأندلس والحضارة المسلمة، والعطاء الإنساني الباذخ، بسلبية، وانقطاع، وخيبة أمل! بل ليقيم أندلسه

الخاص بأبدع ما يقيم فنان متيم، ويضع لمساته العاشقة في كل سنتيمتر من أندلسه الشخصية! ويا لها من جنة، ويا له من مبدع!

قبل أكثر من خمس وثلاثين سنة حلم الشاب الموريسكي (فيليبيه رودريغز Philipe Roderegez) أو العم هارون بأندلسه الخاصة، فأتى إلى قطعة أرض بين إلشه Elche ومرسية Murcia في قرية صغيرة آنذاك تسمى كريبيينت Crevillent كانت عامرة – وما حولها – بمزارع على مد البصر، ملأى بالأشجار المثمرة بالرمان، والبرتقال، والنخيل الأندلسي القديم، والمزروعات الأخرى التي تبهج العين والقلب.

وبدأ ينقل حلمه من خياله الثري، للورق، ثم للواقع، حتى صنع منذئذٍ، وحتى زيارتي إياه يوم الاثنين 13/ 2015/10 شيئًا يشبه الجنان الأندلسية القديمة، في الثراء والتنوع والإبهاج!

ولقد أسرني ما شهدته حتى إنني تمنيت لو أستطيع الإقامة هناك حولين كاملين، منقطعًا عن الدنيا؛ لأكتب، وأسيل بالشعر، وأرسم، وأبدع ما استطعت؛ حيث كل ما تقع عليه العين من الخضرة واللون والنسيم، والطير، والسكون، يفتق أكمام الإبداع، ويسفر عن مكنونات النفوس الشفيفة، والأحاسيس الرفيفة!

لكن أنى لي هذا وثم ألف حبل يشدني، وألف ارتباط يثقل كاهلي، وألف صاحب حق يجب علي أن أوفيه حقه!

ويا لله للجائع حين يرى شهي الطعام ولا يستطيع أن يمد يدًا، وللذواقة حين يدخل قطعة من الجنة ويخرج منها مضطرًا محزونًا محسورًا!

كنت قد قضيت في أليكانتي نحو عشرة أيام بين أناس كرامٍ كرامٍ كرام، الدكتور أبي أحمد ماجد الأربعين، والشاب الطلعة الوثاب أبي أحمد محمد دياب الذي غمرني بالكرم، وأضافني طوال مقامي، والمهندس بلقاسم، والأخ إسماعيل سيفي، والشيخ البسام أبي همام، وكرام آخرين غمروني بودهم ولطفهم، وانطلقوا معي إلى كريبيينت حيث ضيعة العم هارون، لأجد لنفسي منفصلاً عن العالم المادي، إلى عالم روحي مختلف، وفارًّا من الواقع الصعب، إلى قطعة من الحلم والرومانسية، ومن جهامة البناء الحديث وبرودته إلى دفء الزخرف واللون والمباني

التقليدية، المتوغلة في الأقبية، والسافرة في الأبراج والسطوح الأنيقة، ومن الجدران إلى الخيام، ومن حرارة الخليج الحارقة إلى رذاذ كريبيينت المنعش، ومن واقعية اليورو إلى دفء الضيافة وسخاء النفس المؤمنة الطيبة!

قطعنا الطريق بسرعة لأجد نفسي أتوغل في طرق ضيقة، تحفها الأشجار المثقلة بالرمان، والبرتقال الذهبي، والنخيل ذو الجدائل الحمر والشقر، والخضرة الأنيقة، ثم لأجد نفسي أمام مدخل كان وقعه على نفسي كرنّة مزهر، أو سحبة كمنجة، أو نفس عاطر، فلم أمنع نفسي أن أهتف في بهَر، وأتساءل: يااااه! إيه ده!

وعلى مدخل المزرعة يستقبلنا الأخ المغربي الباسم محمود نجاح ليكون دليلنا في رحاب الضيعة ومباهجها، لأبدأ جولة أنعشتني، وأذهبت عني عياء عشرة أيام لم أهدأ خلالها على مدار اليوم من التواصل مع الأحبة مسلمي أليكانتي، وإزعاجهم بالدروس والمحاضرات والورش في الدعوة، والتربية، والرقائق، والفن الإسلامي، وغيرها من موضوعات.

وإني والله لضنين يا قارئي العزيز بأن أحبس مشاهد الجمال الذي رأيته في قلبي وعقلي، ولا أشاركك بعض تفاصيله؛ من خلال صور التقطتها، انبهارًا، ودهشة، وفخرًا بذلك الرجل الجميل العم هارون، الذي أكرمنا، وجاء في منتصف الزيارة لاستقبالنا، وإيناسنا، ولم أدعه من مناغشتي، فاقترحت عليه إضافة ما ظننته ناقصًا ليتم بهجة المكان، من الثياب الأندلسية، وأدوات الأنس، ورفع الصور الحديثة الغريبة عن طبيعة المكان!(وهي ليست حديثة حرفيًّا؛ إذ تمثل إسبانيا ربما في المائة سنة الأخيرة، وحوالي أيام فرانكو)!

العم هارون:

وإني لأزعم أن هذا الرجل المسلم الجميل رجل عملي، مليء بالإيجابية، والتوثب، والهمة العالية؛ رغم هدوئه الظاهر، وبساطته، وعدم تكلفه، وابتسامته الوضيئة التي تملأ وجهه المسكون بالسلام والرضا.

لم يكتف العم هارون (أو الشاب هارون قبل 35 سنة) بالبكاء على الأطلال، ولا بالتغني بالماضي المجيد، بل أعاده حيًّا مجسدًا في هذه المزرعة التي لا يعرف الإسبان عنها كثيرًا، وإن كان العديد منهم يأتي ليقضي يومًا، أو مساء أندلسيًّا أو (موريسكيًّا) فيها لا ينسى!

لقد صمم الرجل المزرعة جزءًا جزءًا، وانتقى أشجارها، وخطط معالمها، واستدعى المهندسين والبنائين المهرة لتجسيدها واقعًا، حتى إنك لترى المداخل والأقواس والعقود المزخرفة بالنقوش الأندلسية العتيقة، تطرزها دائمًا (لا غالب إلا الله) والزليج المغاربي (البورسلين) بزخارفه الهندسية، وألوانه التقليدية، والأبواب والنوافذ والأقبية والأبراج، والممرات المدهشة، والنوافير، والمصابيح النحاسية المتناثرة في الغرف والممرات وبين الأشجار، والجلسات الأنيقة الحالمة، وترى الطواويس والقطط والطيور، وتسمع أصوات الطبيعة الآسرة، وتعيش جوًّا مختلفًا، هو أندلسي بامتياز، إسلامي بامتياز، فني بامتياز، شاعري بامتياز!

الطريق إلى كريبيينت

البيت الموريسكي

اعتزازًا بأصوله ودينه، أطلق العم هارون على ضيعته: البيت الموريسكي Carmen del Campillo o d los Moriscos واسم المورو لفظة انتقاص أطلقها الإسبان على سكان مستعمراتهم؛ كأنها البربر أو الهمج، لذا تجد: موريسكيي الأندلس، ومورو الفلبين، وجزائر موريشيوس، وموروكو (المغرب) وموريتانيا، وغيرها، ومن المدهش أن أهل هذه البلاد يحتفظون بأسمائهم الاستعمارية وتركوا أسماءهم الأصلية الشريفة، فانظر معي:

Carmen del Campillo
Image © 2007 DigitalGlobe
© 2007 Europa Technologies
Google
Puntero 38°13'20.15" N 0°50'53.83" O elev. 87 m Secuencia 83% Alt. ojo 387 m
Canal de riego
Parking
Parking
Parking
Entrada
Carmen del Campillo

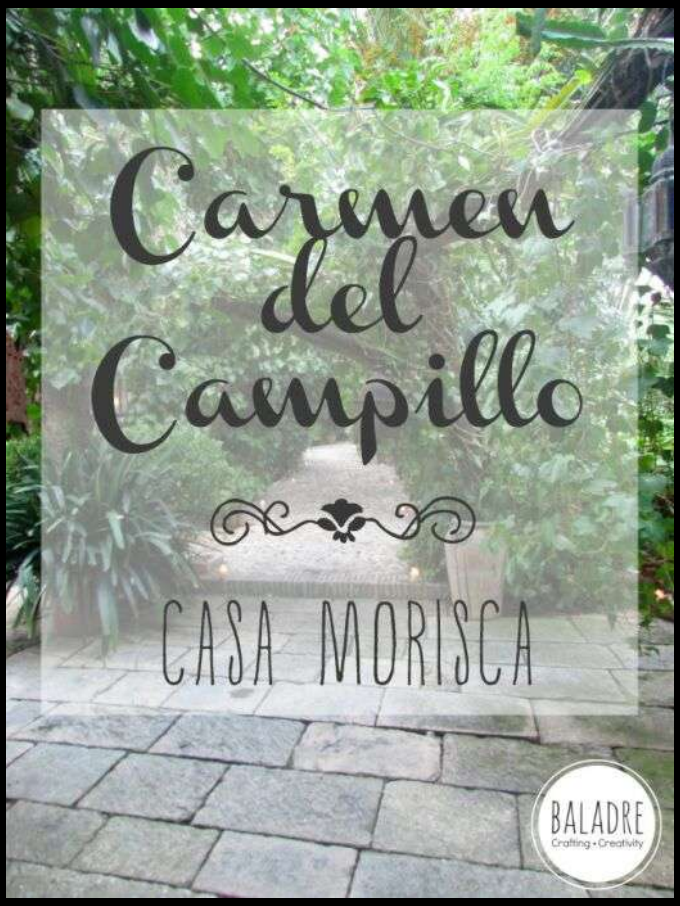
Carmen
del
Campillo
CASA MORISCA
BALADRE
Crafting • Creativity

CARMEN DEL
CAMPILLO
O D LOS
MORISCOS
Horario:
de Julio a Septiembre
abierto todos los días
desde las 6 de la tarde.
de Octubre a Junio:
lunes y martes: cerrado
(excepto vísperas y festivos)
de miercoles a domingo:
abierto desde las 4 de la tarde.

ممرات الضيعة

تشكل ممرات الضيعة لوحات بصرية غاية في الأناقة، حافلة بالخضرة والألوان والنوافير، والراحة التي تفيضها على القلب المكدود، والكيان المجهود! فتأمل واستمتع:

من أبواب الضيعة

تشكل أبواب الضيعة ومداخلها سيمفونية بصرية غاية في الأناقة، فهي تجمع بين تناغم الخط المغربي (الأندلسي) مع الزخرفة النباتية والهندسية، مع البورسلين، مع اللون، مع النجارة، مع المصابيح النحاسية ذت الزجاج المعشق، وأعمال الخشب التقليدية: لتوفر للزائر جملة من الفنون المتكاملة والمتناسقة، فانظر وتأمل، واندهش كما اندهشت:

Carmen del Campillo
Carmén déi Campillō

Carmen del Campillo

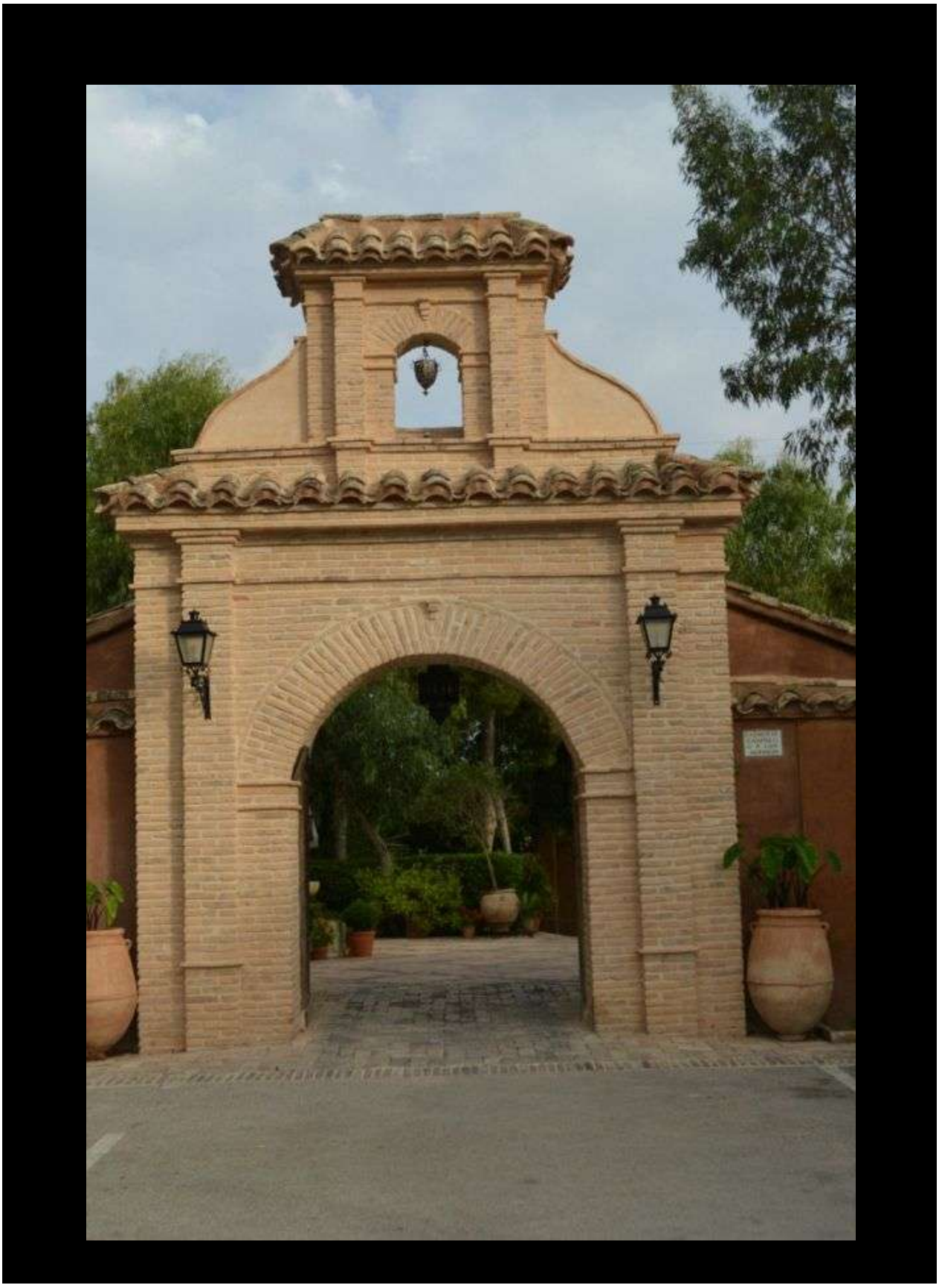

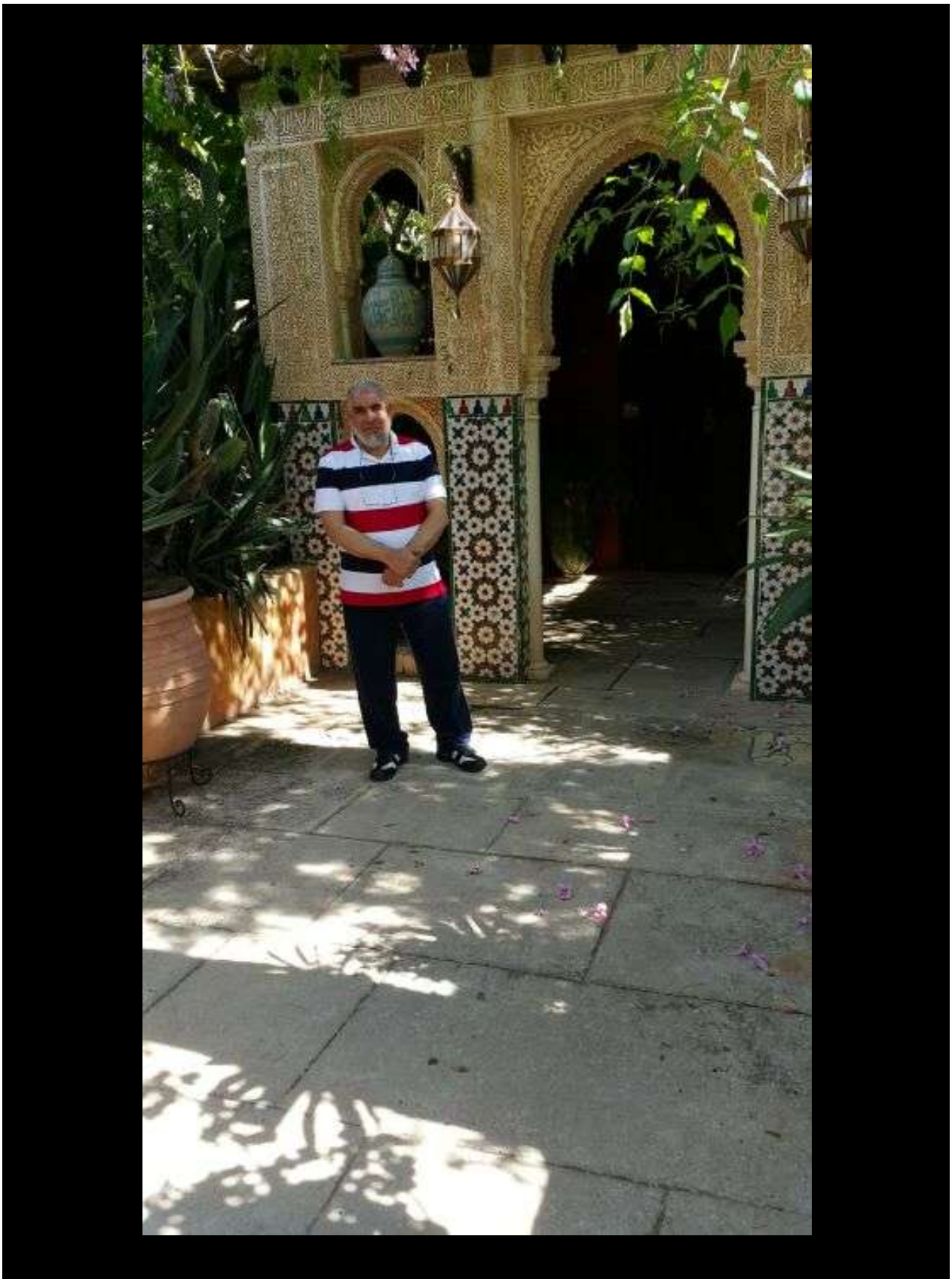

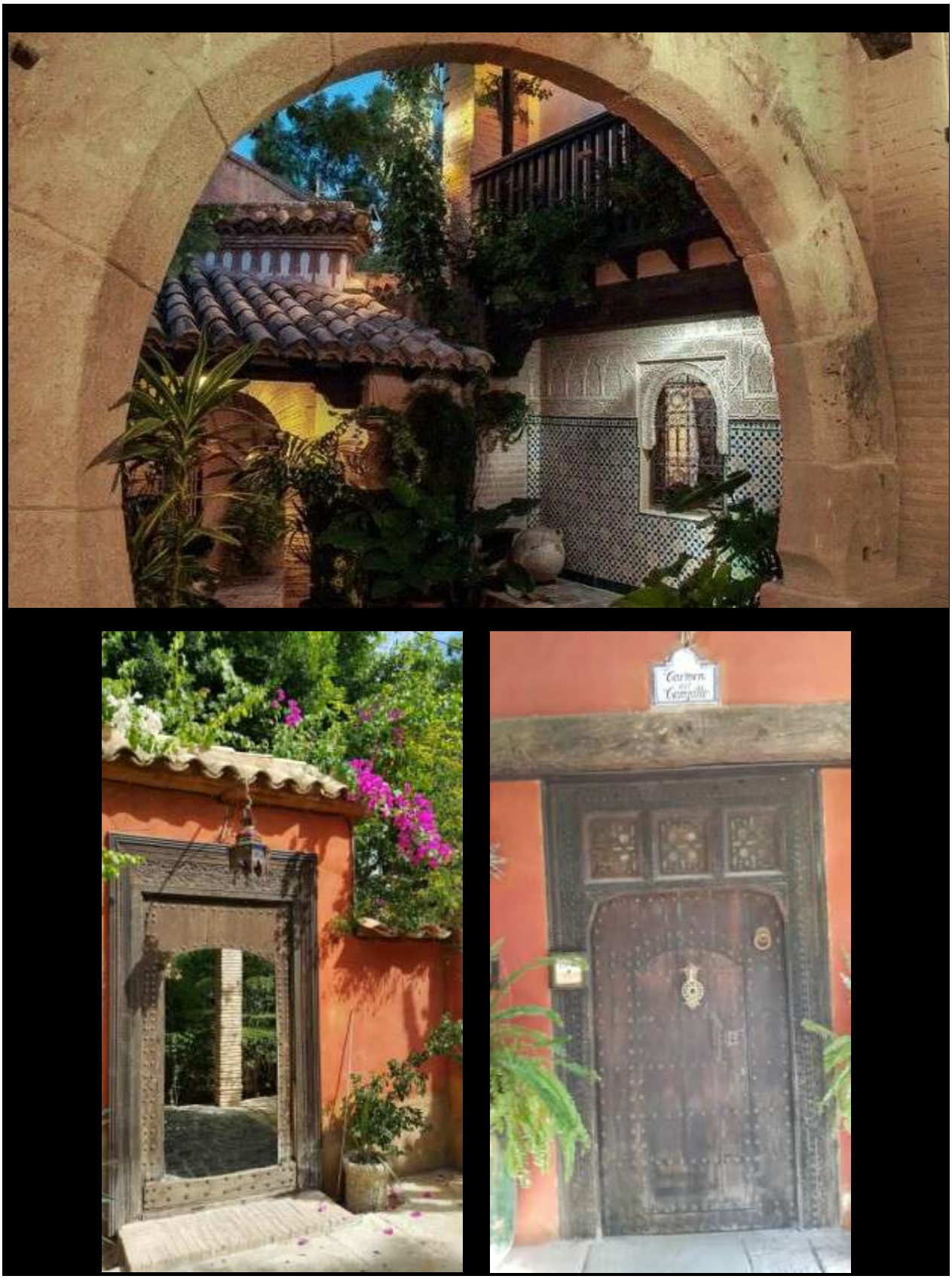

من المشكاوات والنوافذ على الضيعة

تتنوع النوافذ من الغرف في أشكالها وأحكامها، وزخارفها، ولكنها تشترك جميعًا في كونها تطل على مناظر تملأ العين والقلب، وتغذي الروح والوجدان.. فهيا غذ روحك:

© Arvikis

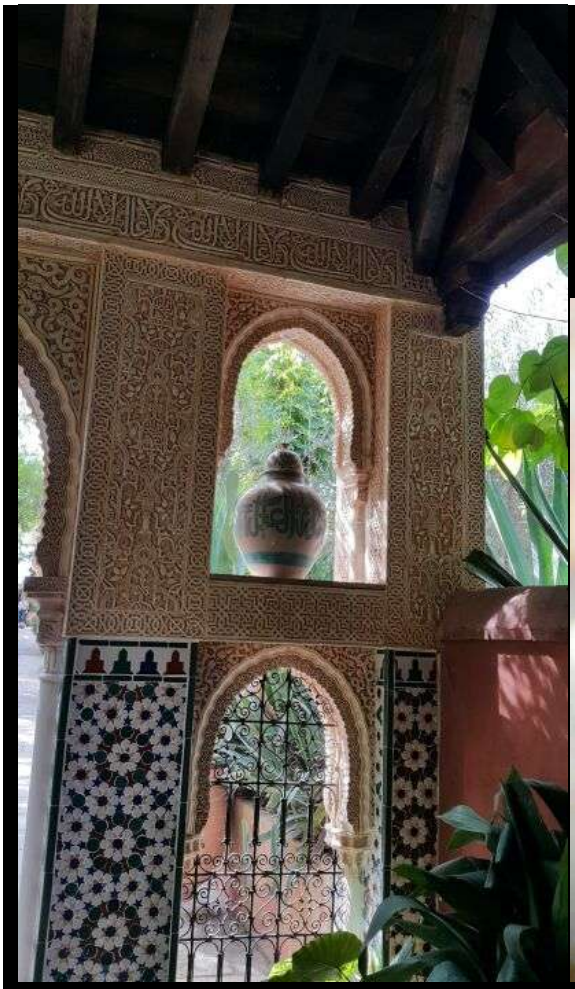

الزخارف والزليج

حينما تذكر الأندلس، تذكر الموشحات، والعمارة، والزخارف، والزليج، والخطوط الأندلسية، والأقواس، والعقود، والنوافير، والماء، وغيرها.

وضيعة العم هارون ثرية بالموتيفات والتصاميم التي صممها، أو انتقاها بعناية، وابتاعها بنفسه، ونقل تفاصيلها من قرطبة، ومعالم الأندلس الأخرى، كما اعتاد التنقل في المغرب ليشتري قطع السجاد، والفوانيس، وأشغال النحاس، والفراء، والسجاد اليدوي، ليزداد المكان بهجة وثراء وأصالة؛ كي يحقق حلمه بإقامة البيت الموريسكي التقليدي، فألق نظرة:

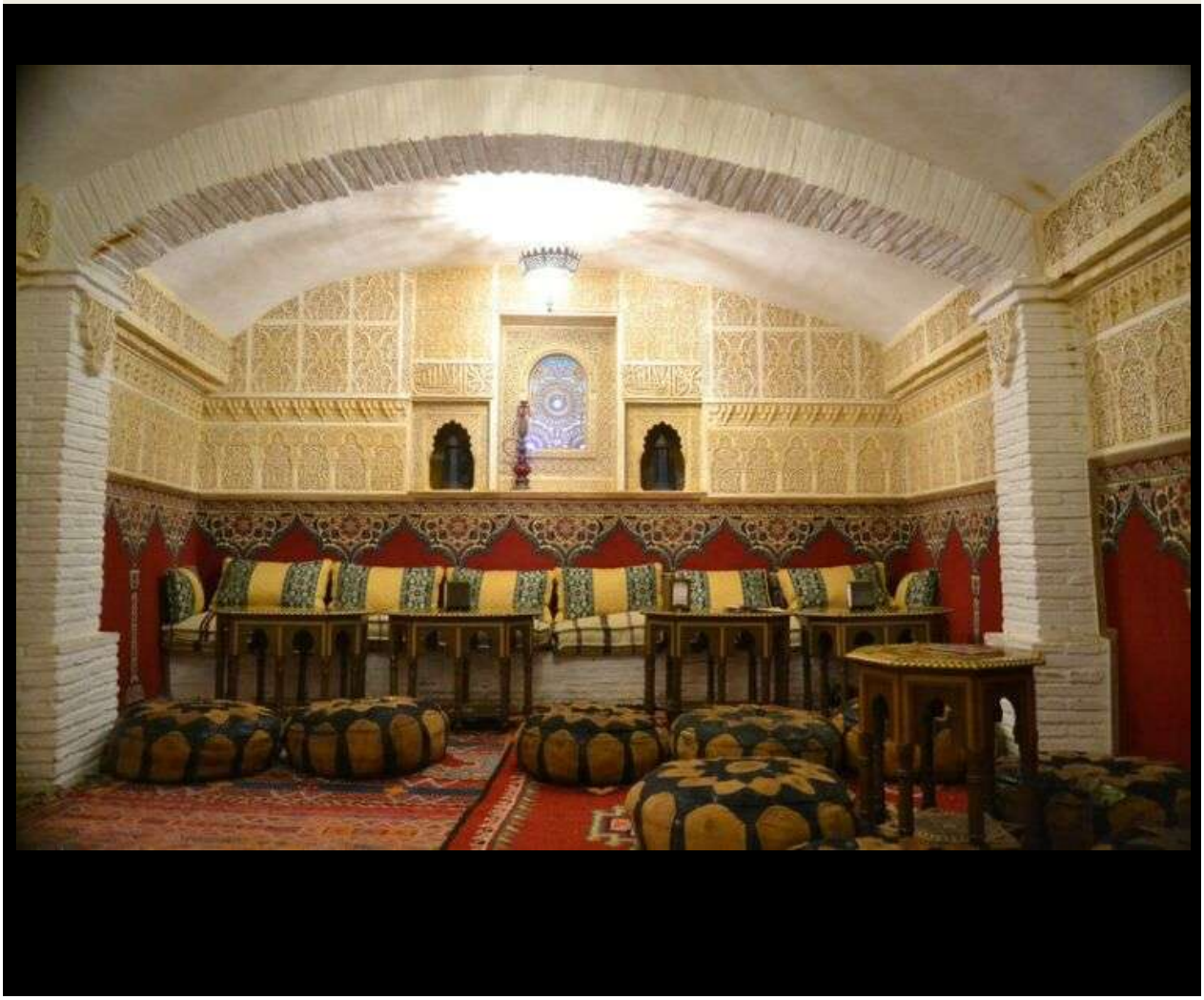

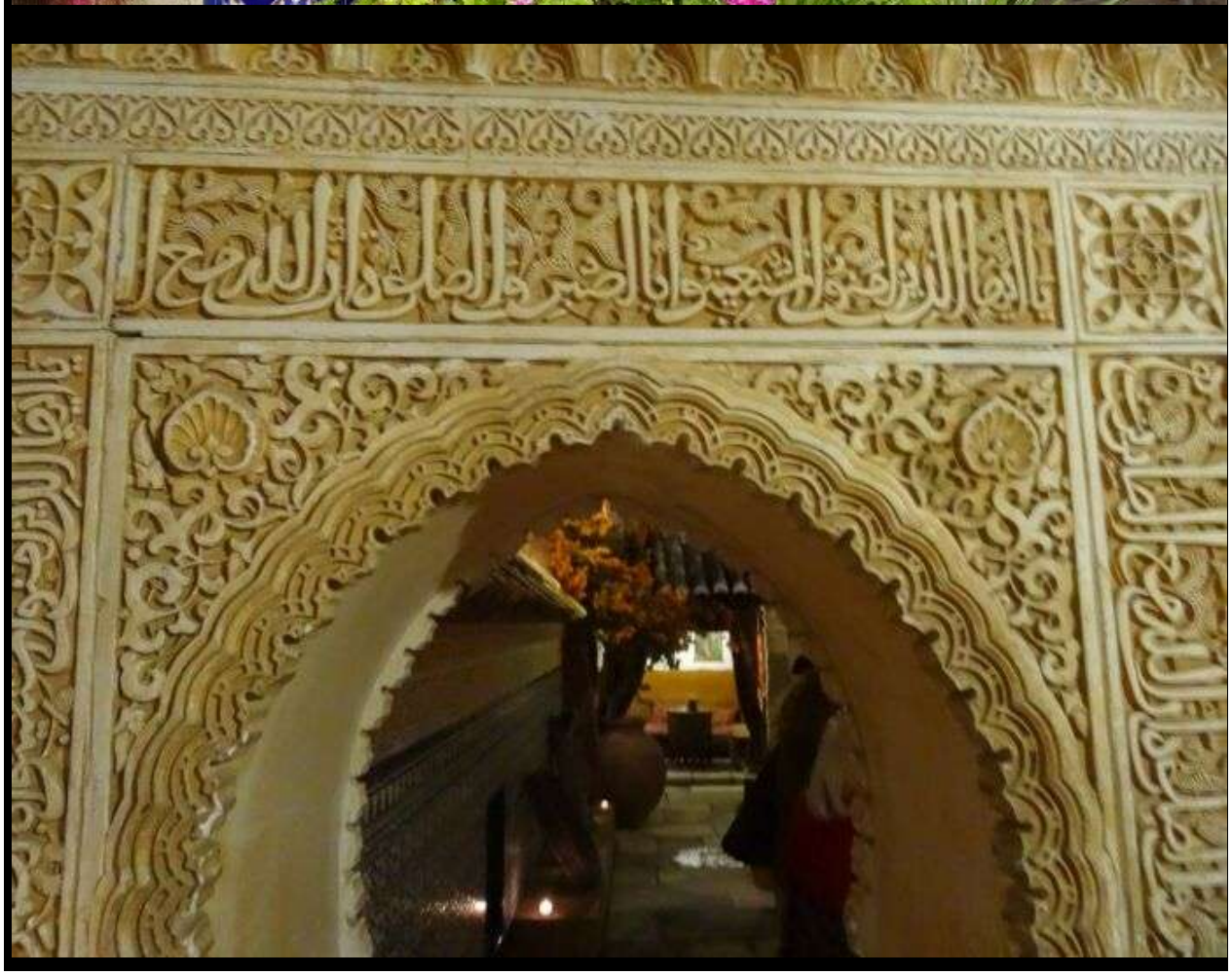

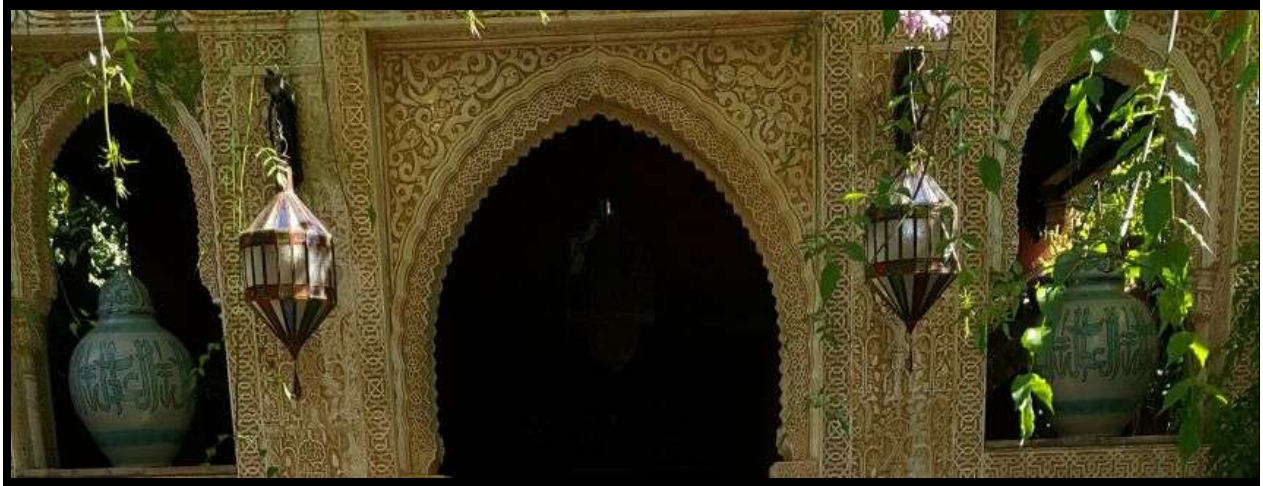

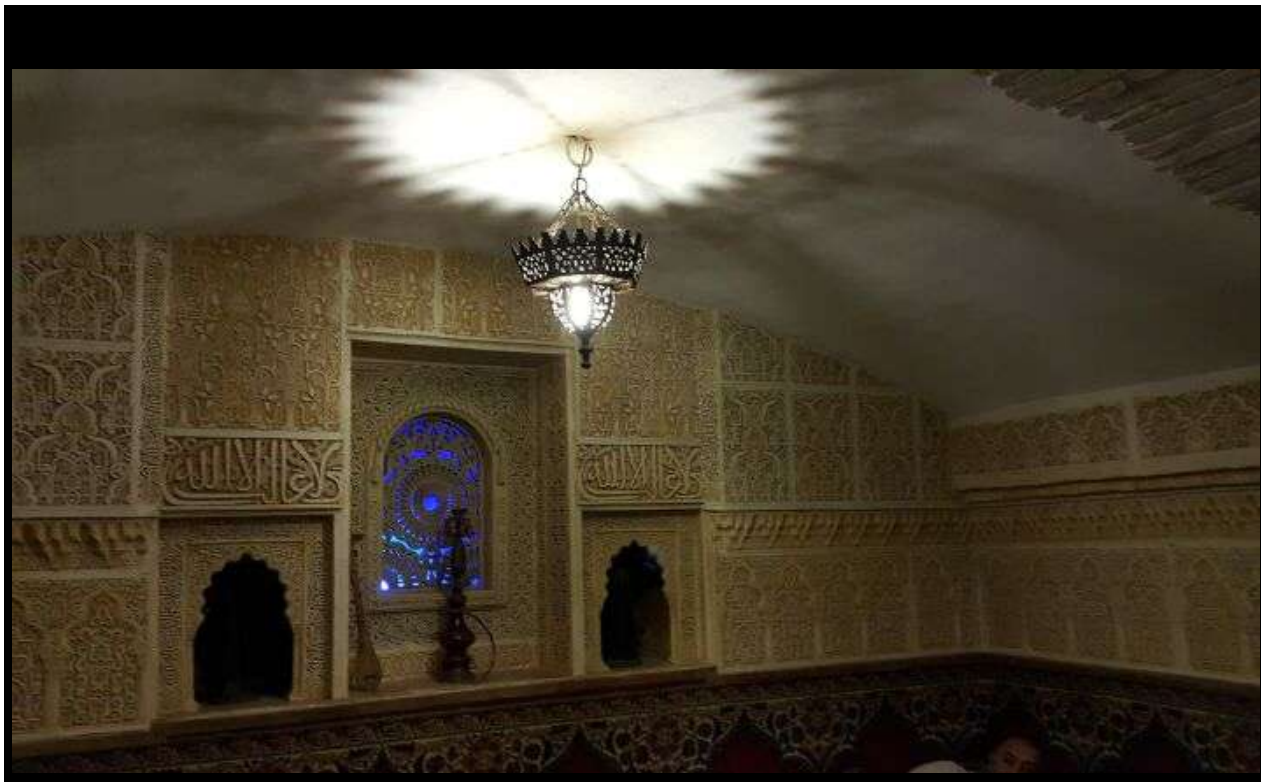

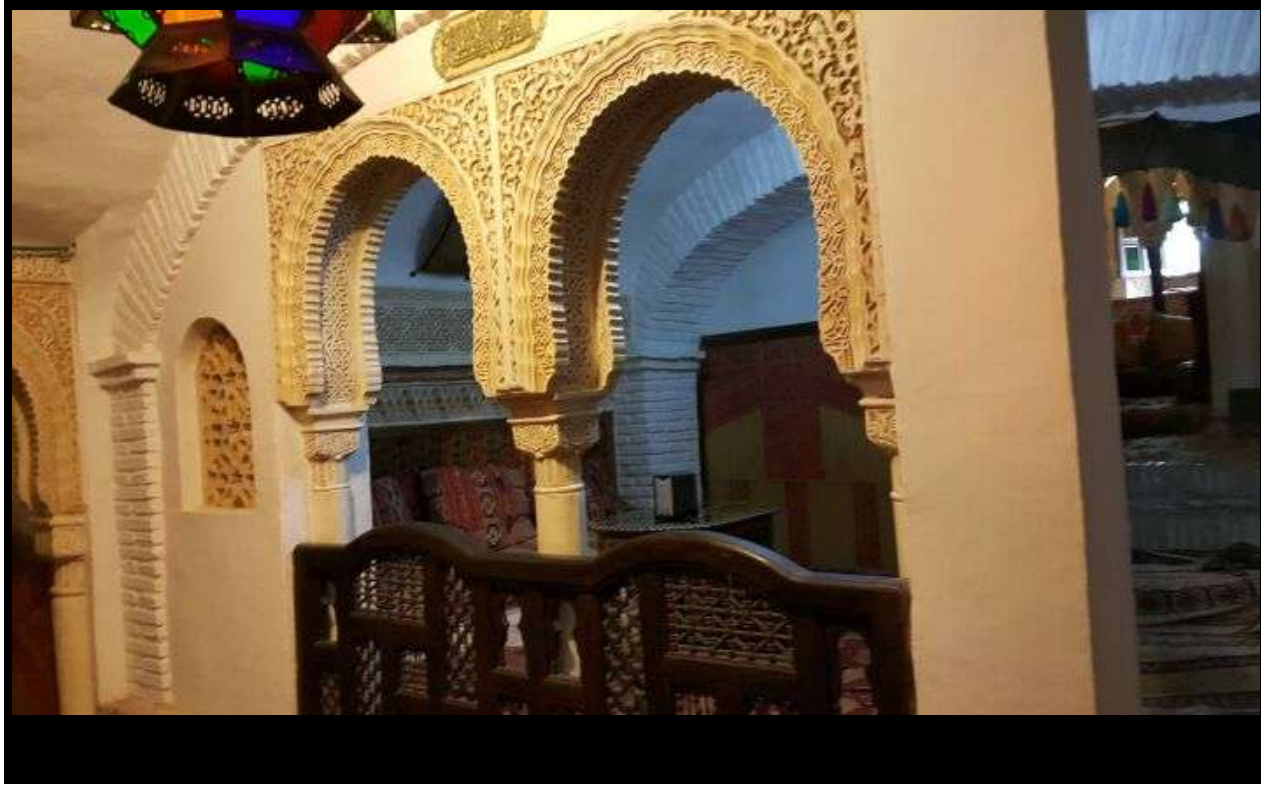

CARMEN DEL
CAMPILLO
O DE LOS
MORISCOS

الغرف في مباني الضيعة

وللغرف وتفاصيلها ورونقها حكايات بديعة، صاغتها مخيلة العم هارون الشاعرية، فحيثما خطوت وجدت جديدًا، وأين دبت رجلك وجدت ما يدهش النفس الشاعرة، والروح الشفيفة، والقلب الشيق للتاريخ المجيد، فهيا قل رأيك:

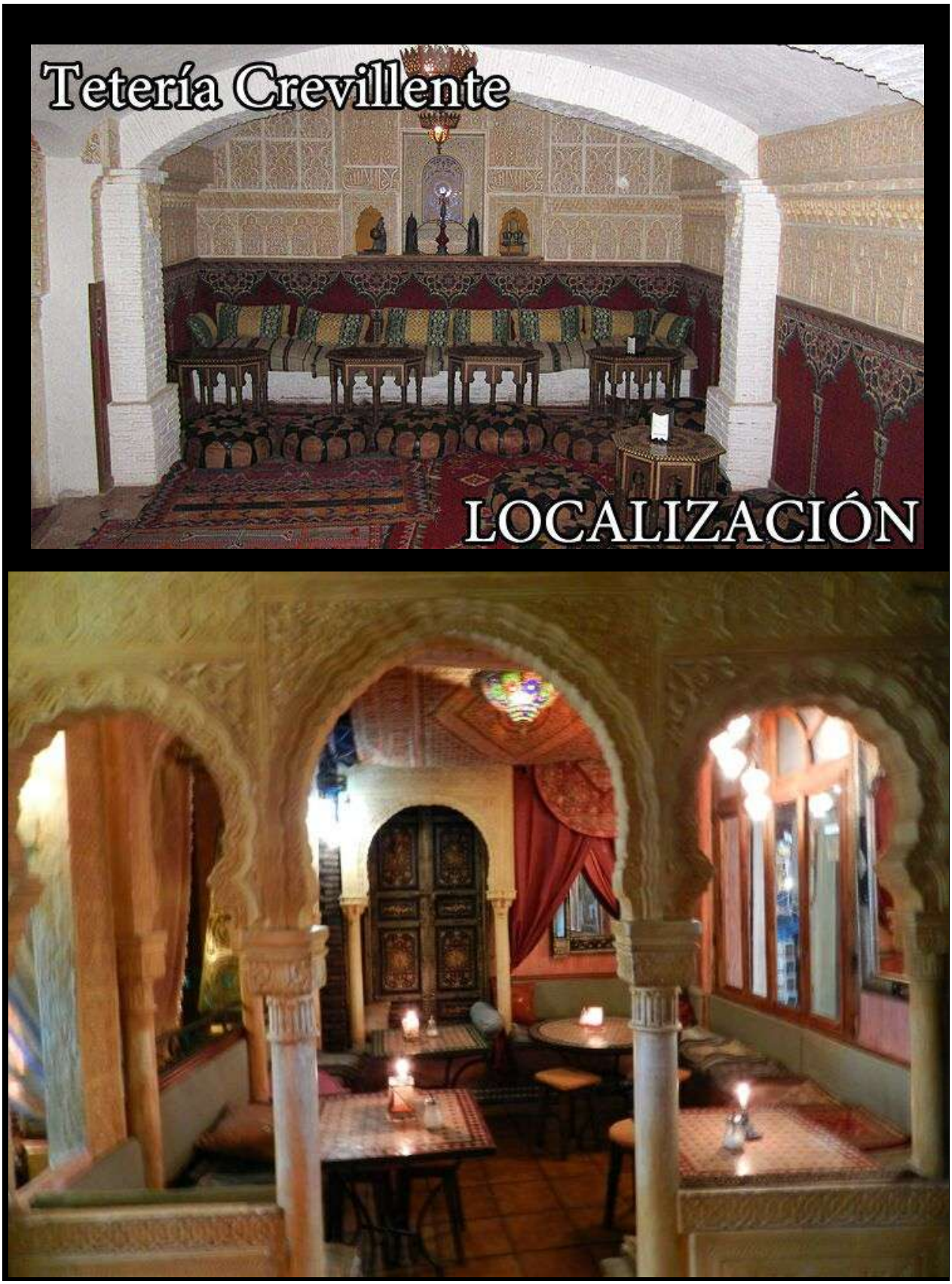
Tetería Crevillente
LOCALIZACIÓN

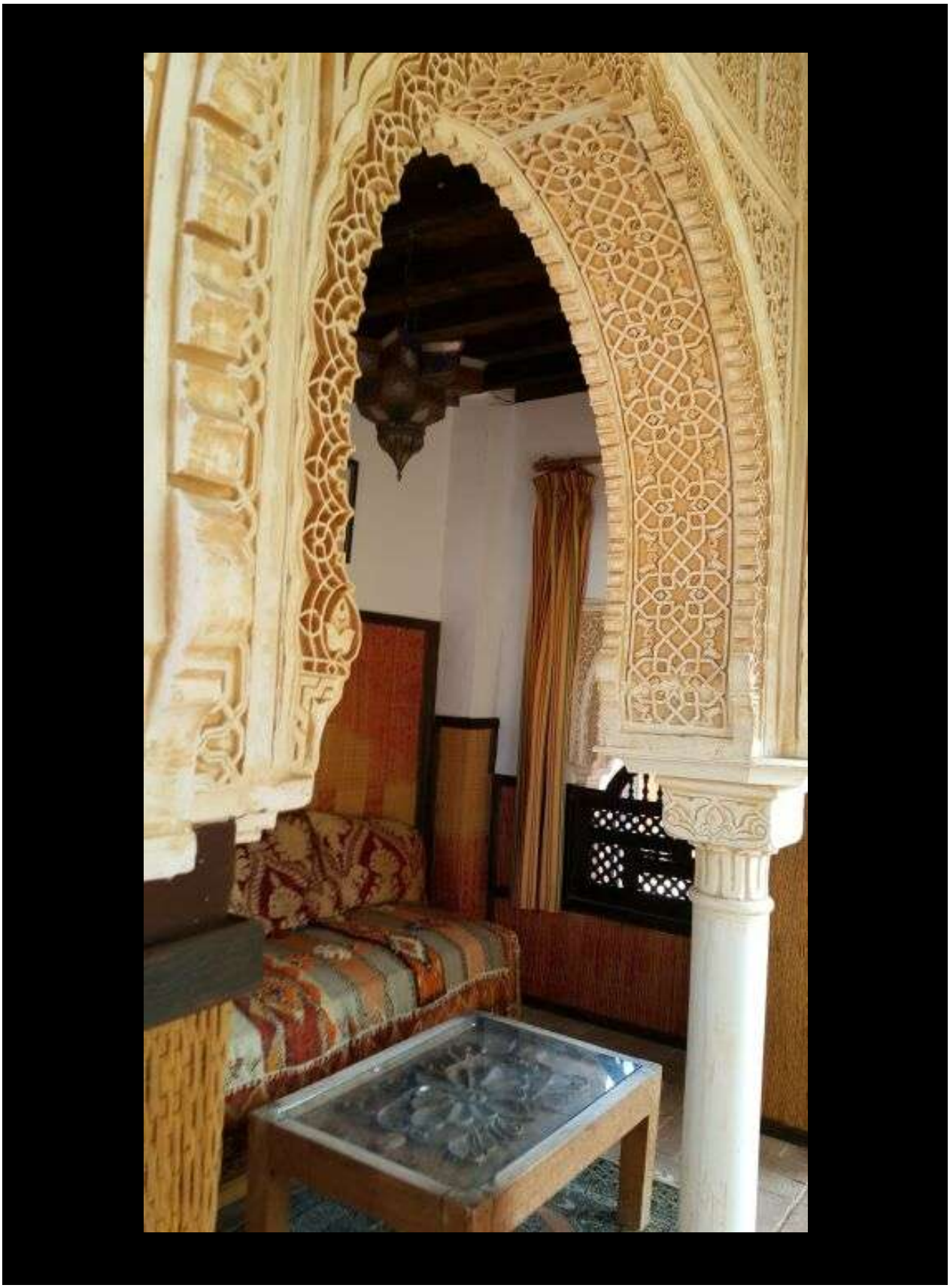

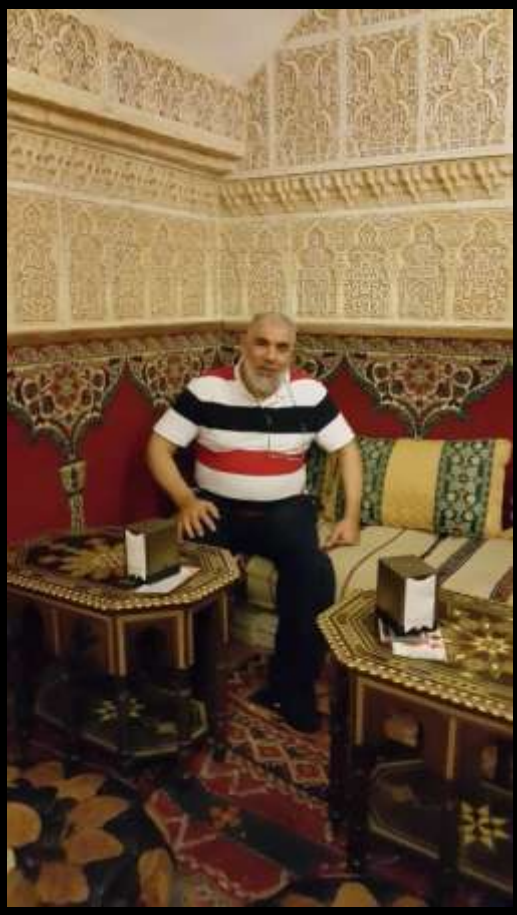

الإطلالات

وحين تريد أن تطلق بصرك في الأفق، أو تريح قلبك وعقلك بما يبهج وجدانك؛ فإن لضيعة العم هارون إطلالات فردوسية مذهلة؛ فهيا أطلّ معي:

© Arvikis

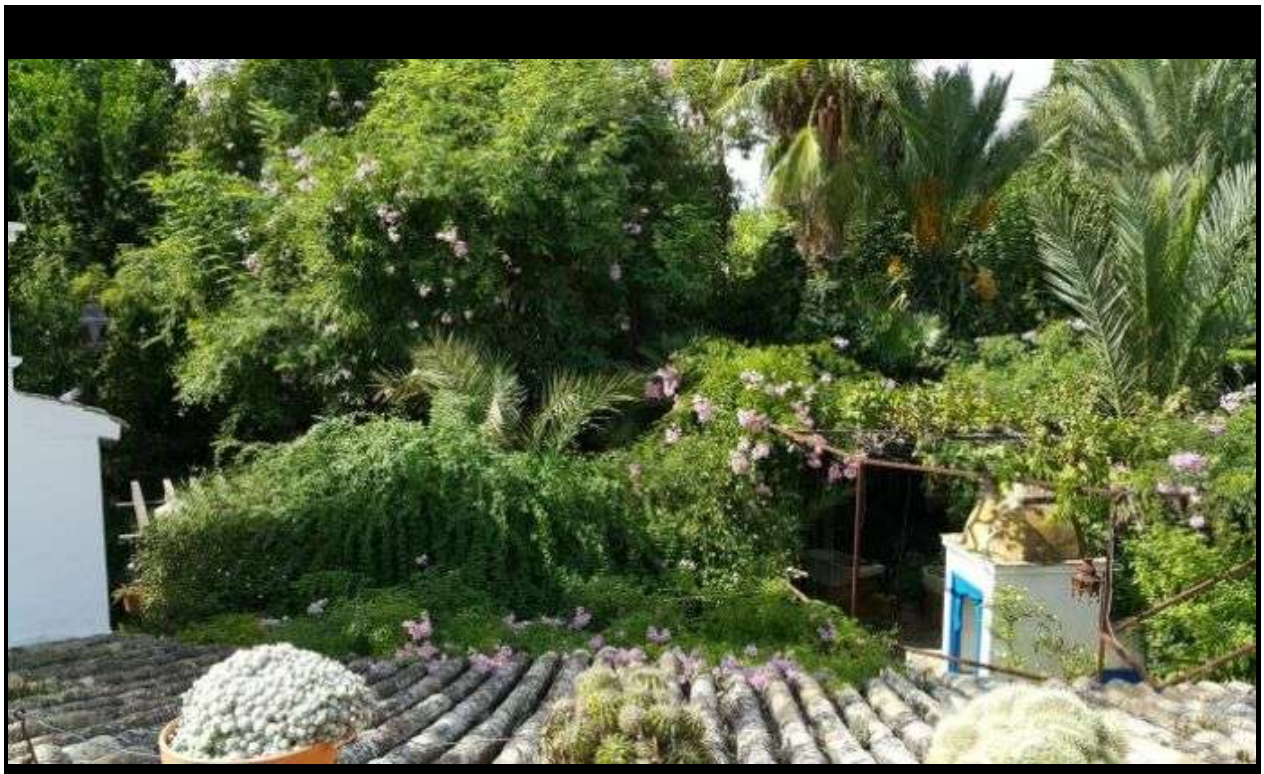

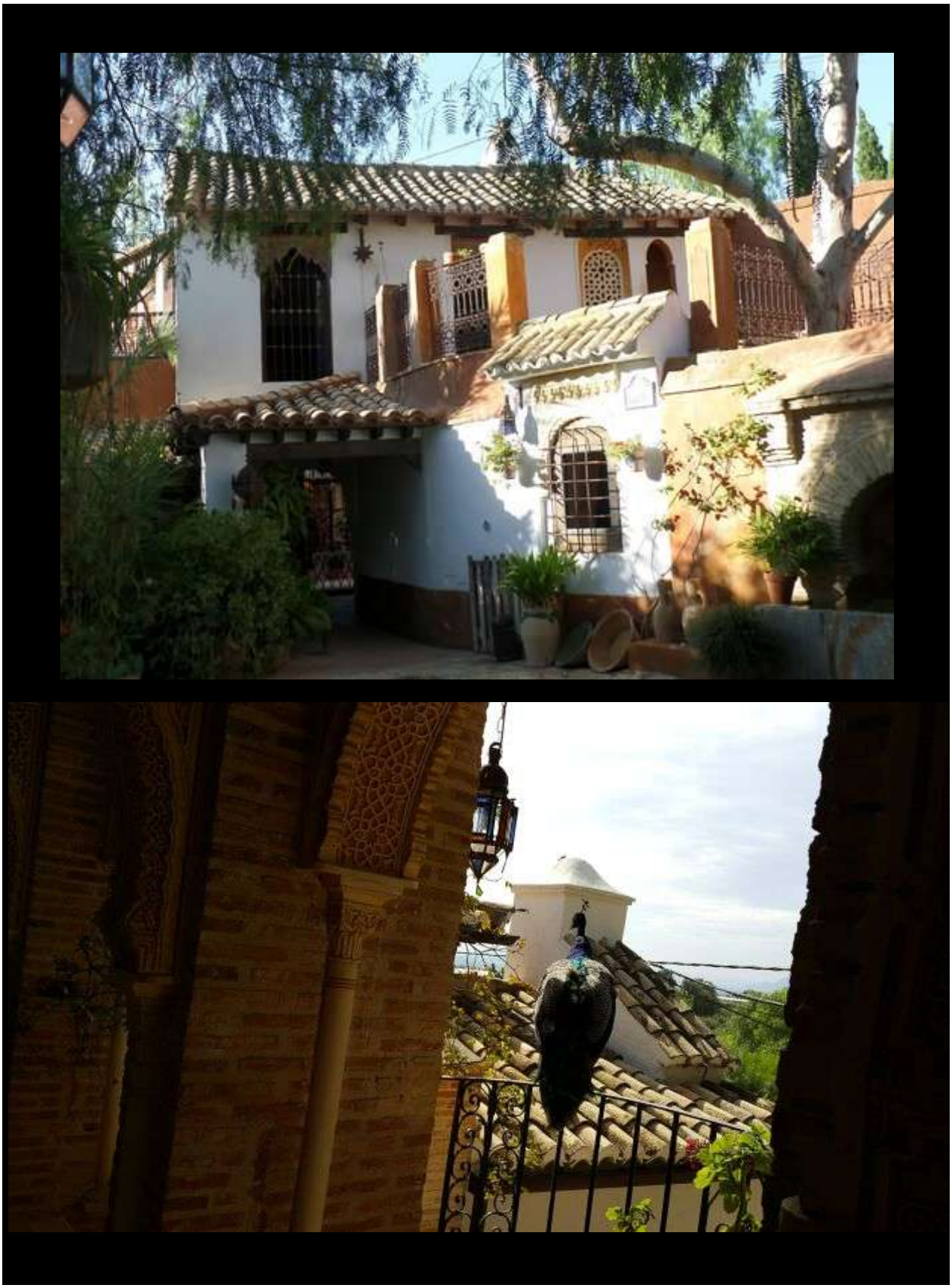

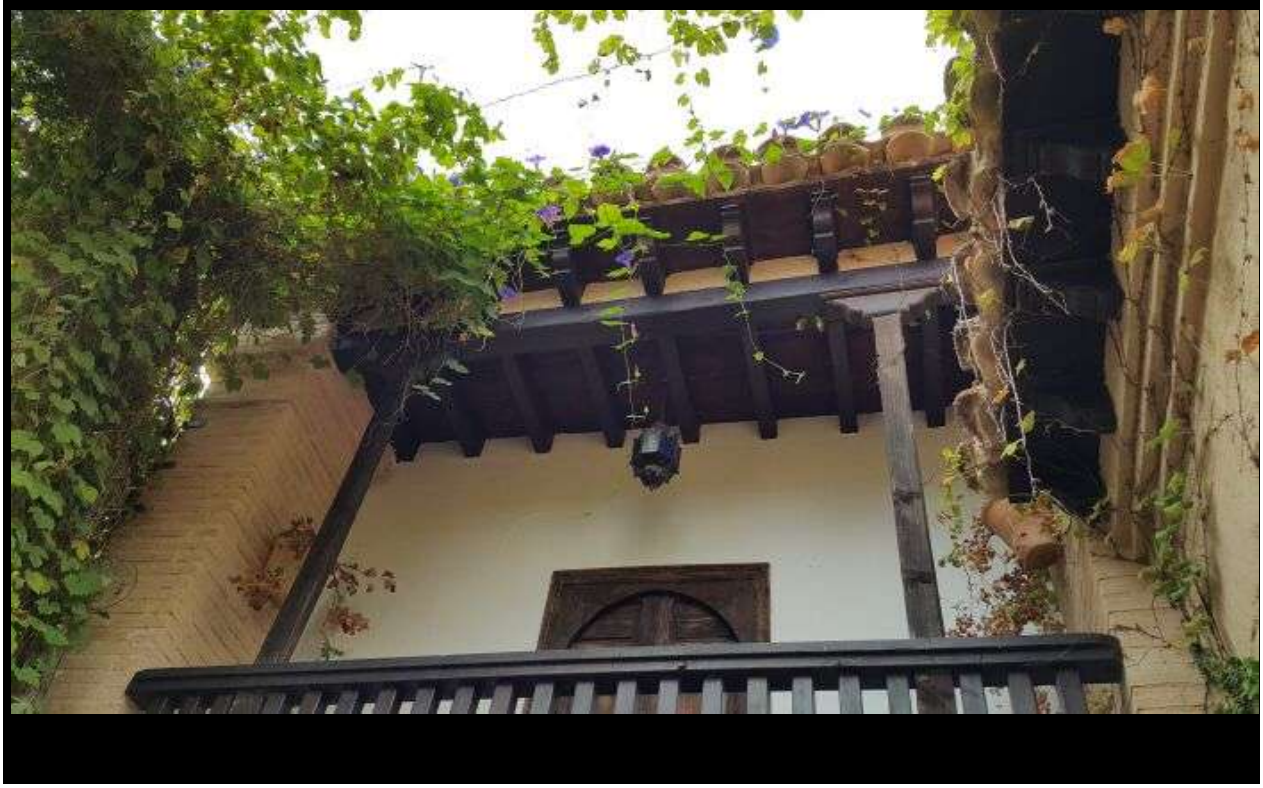

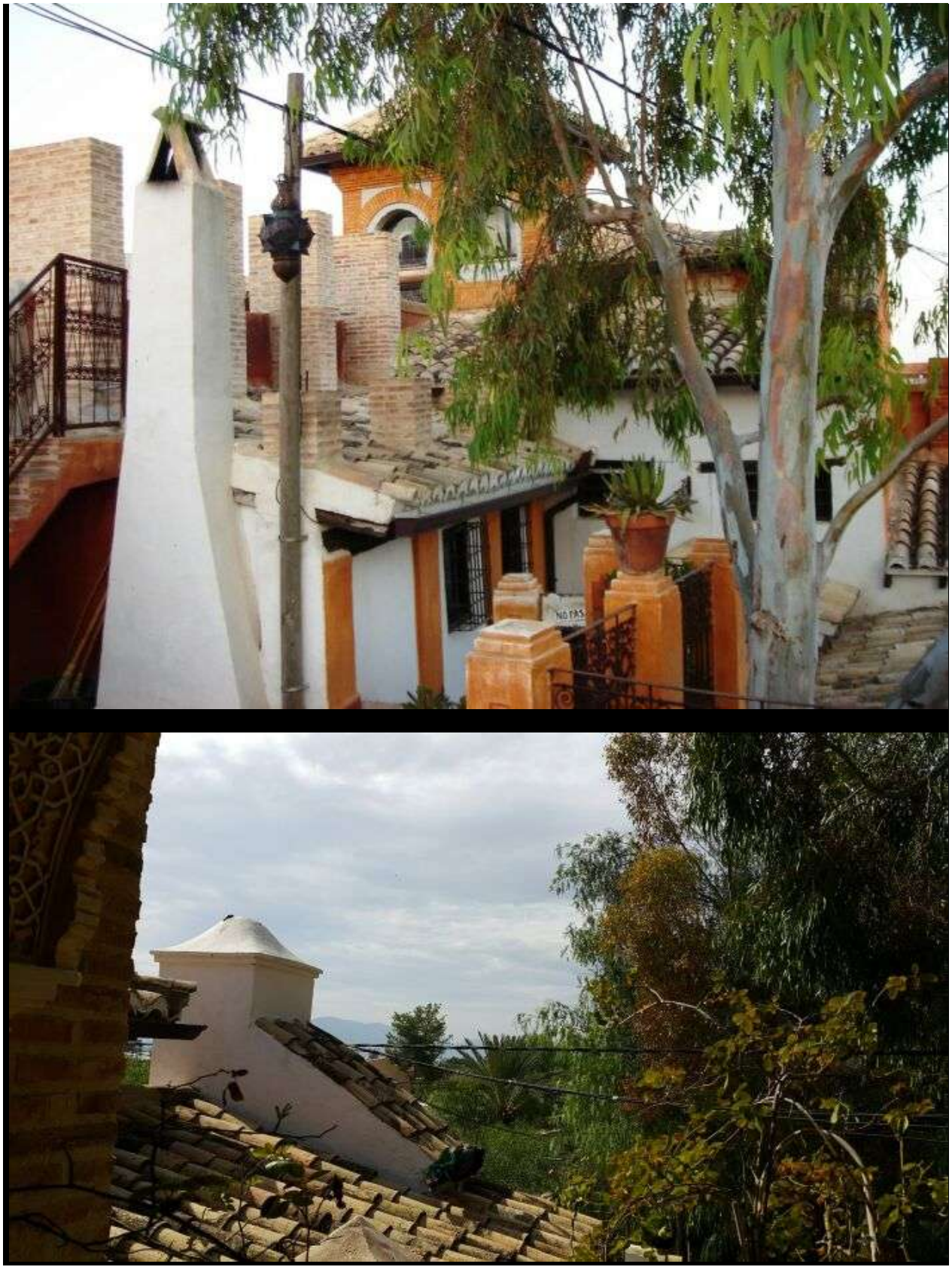

© Arvikis

الأبراج

ومما تقع عليه العين في إطلالها على الفضاء الأنيق: الأبراج التي ينفتح منها المشرف على الأفق على مساحات من الخضرة والألوان والبهجة.. فانظر معي للضيعة ذات البروج:

الأسطح

والأسطح أغنية أخرى تطرب لها العين، ويُسر الخاطر.. فهيا أطلّ معي:

سيمفونية الخضرة

وللخضرة والشجر بأشكاله وألوانه نغم خاص، يَغرق رائيها في حلم يقظة مذهل، ونوع من السكْر الحلال العجب.. فانظر وسبح ربك البديع:

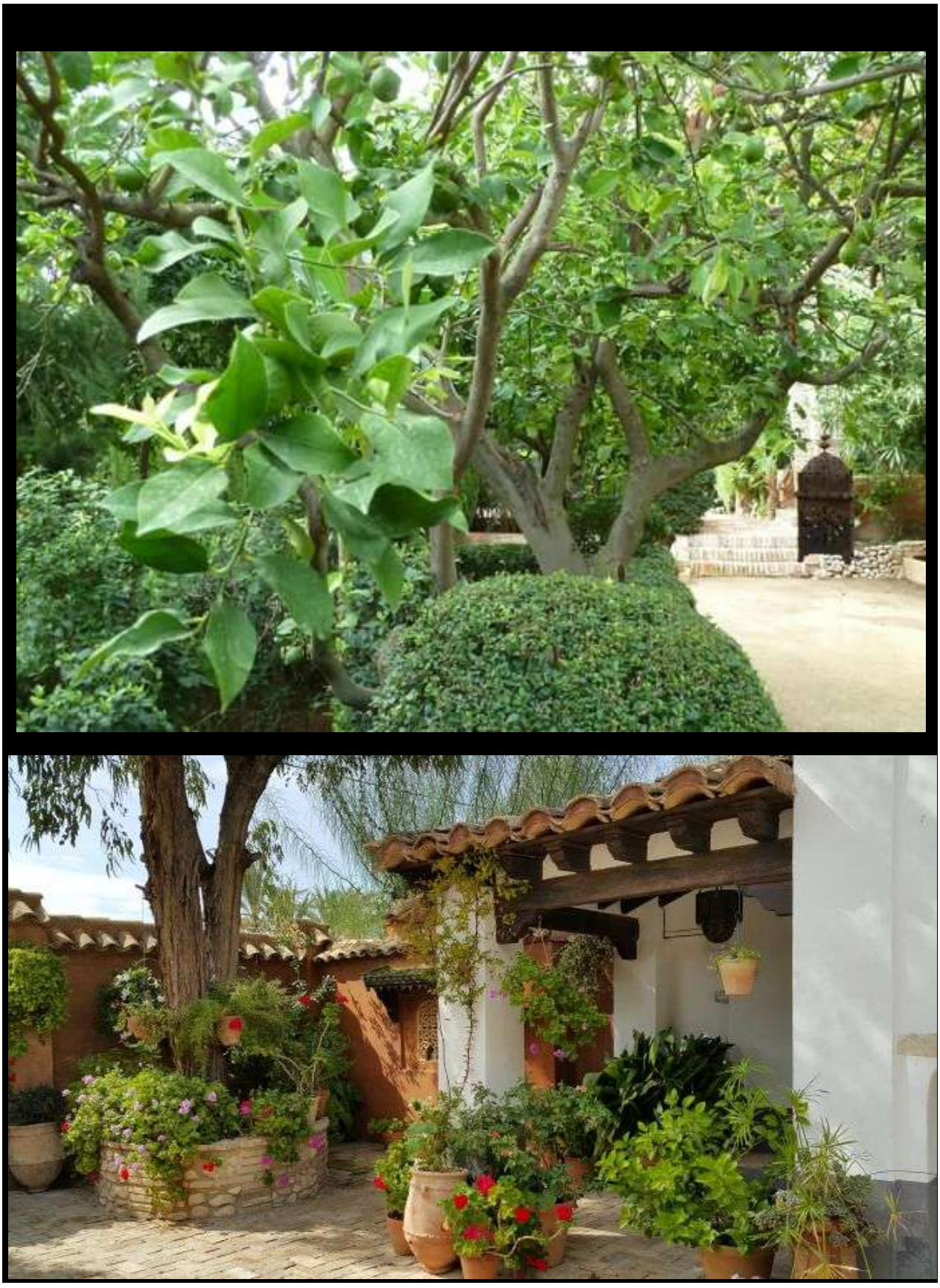

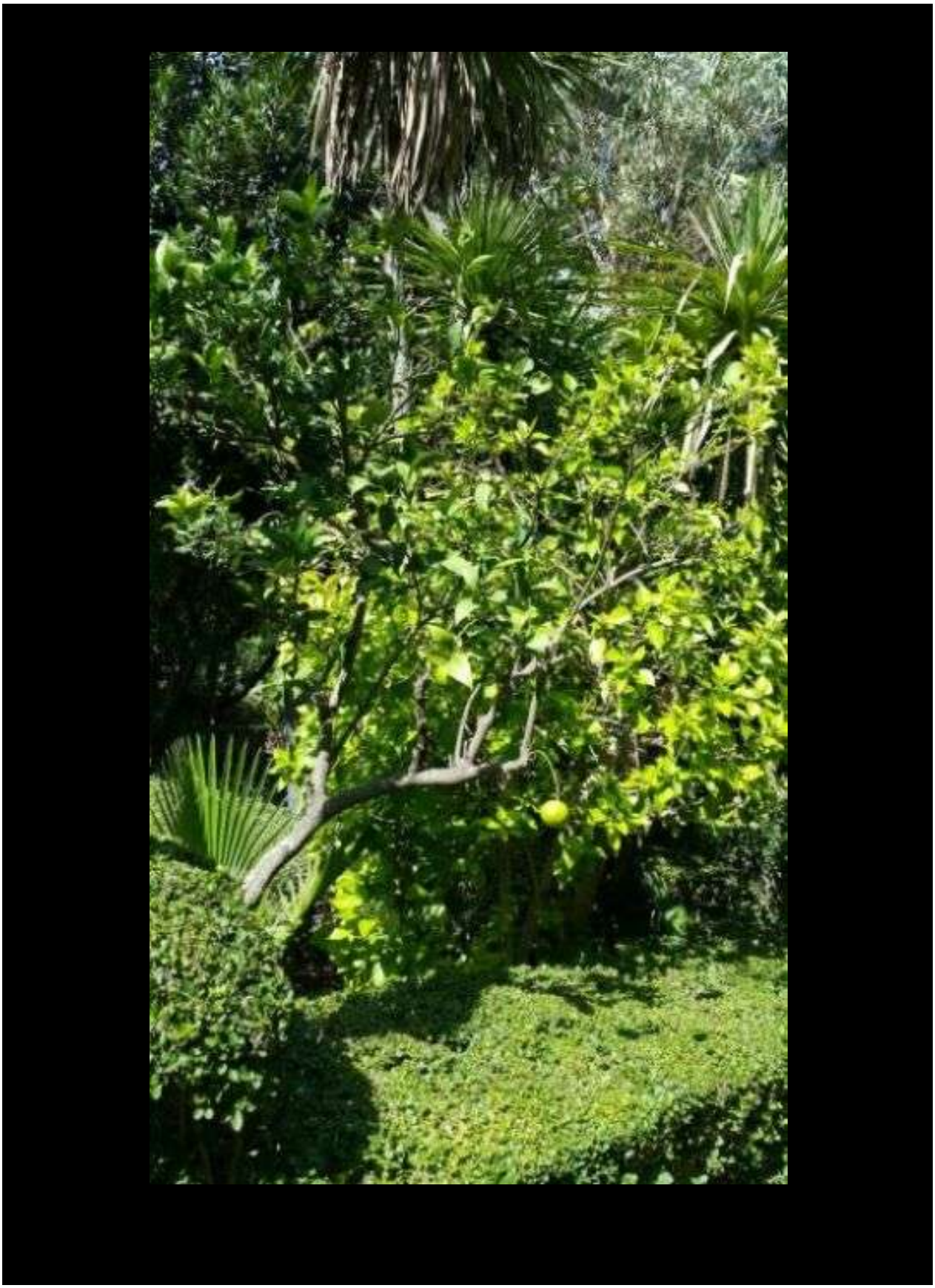

النوافير

والماء قاسم مشترك في القصور والأبنية الأندلسية، حيث فضل الله هنالك غامر، فدائمًا لا تخطئ عينك البرك والنوافير، جنبًا إلى جنب مع الخضرة والحسن الرباني.. فانظر وارتو:

CARMEN DEL
CAMPILLO
O D LOS
MORISCOS

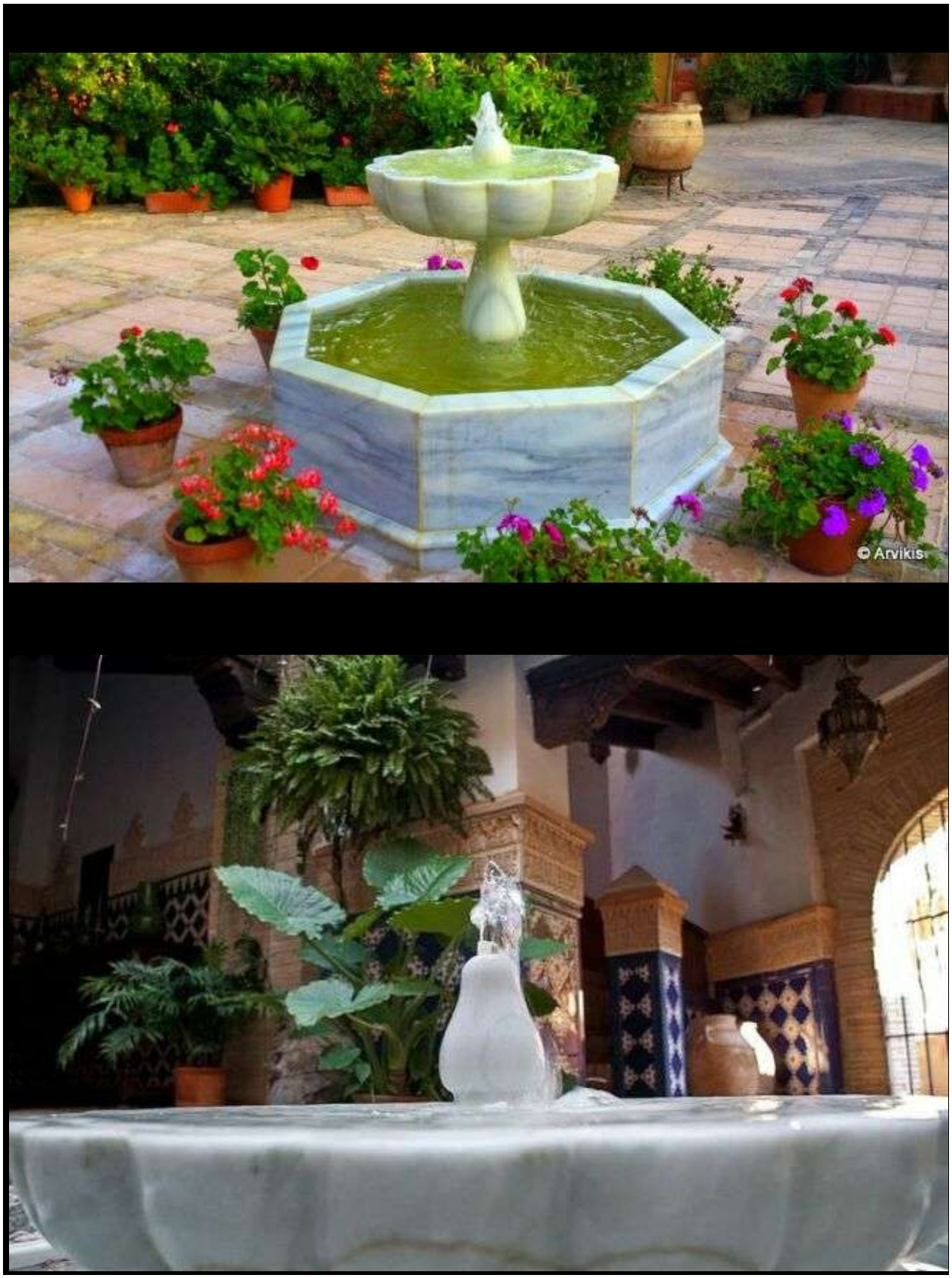
© Arvikis

http://snovadede.ru

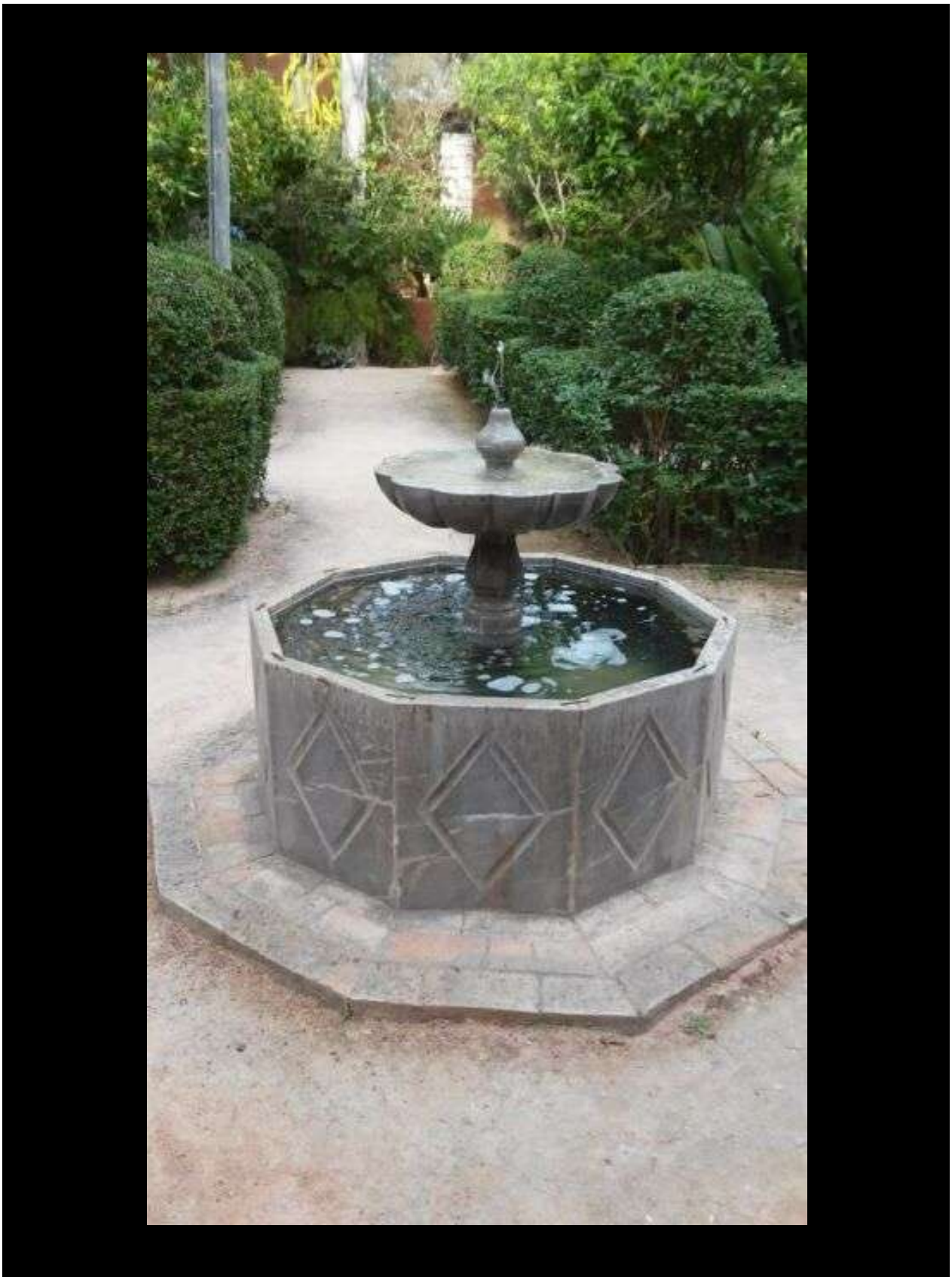

Łarmén dél Łampillō

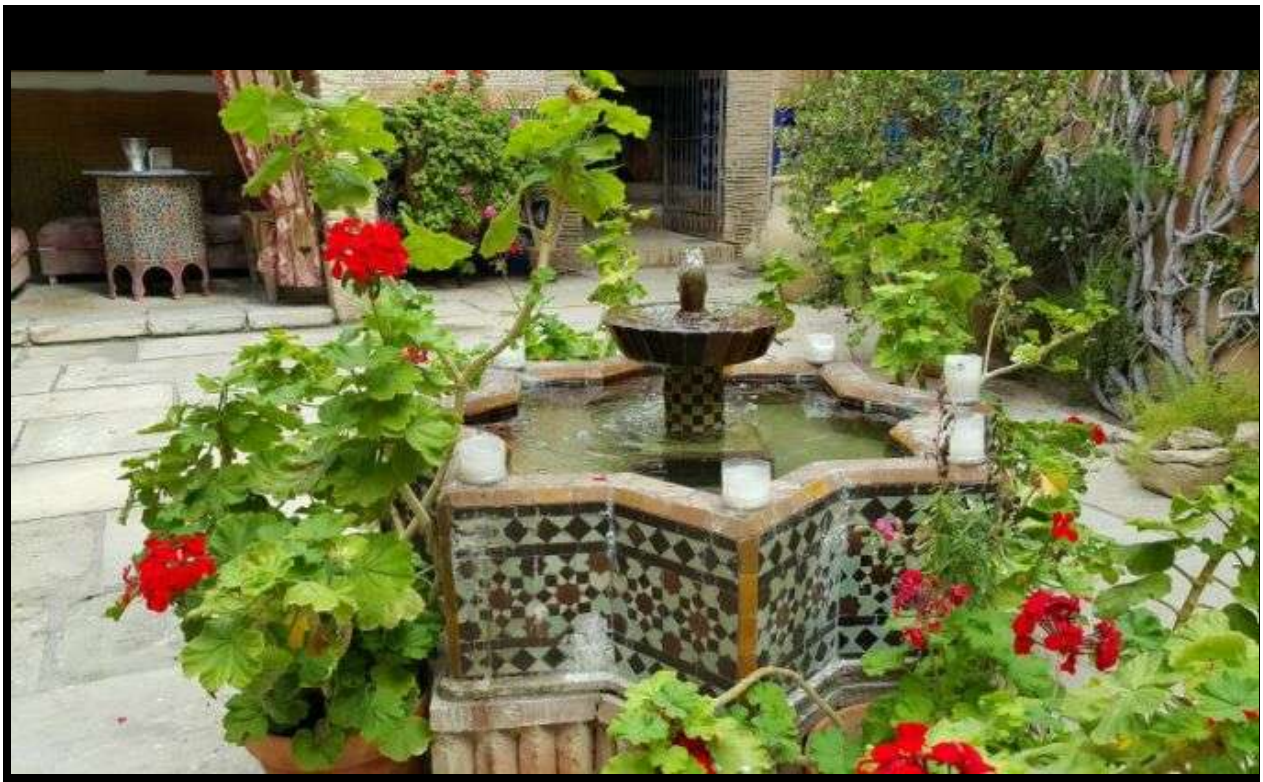

البيوت الطينية

ومن التفاصيل التي اهتم بها العم هارون بناء بيوت فلاحية، بالطين والتبن وحدهما، في أشكال تقليدية قديمة، حتى ينقلك لأجواء طبيعية أصيلة؛ فهاكها:

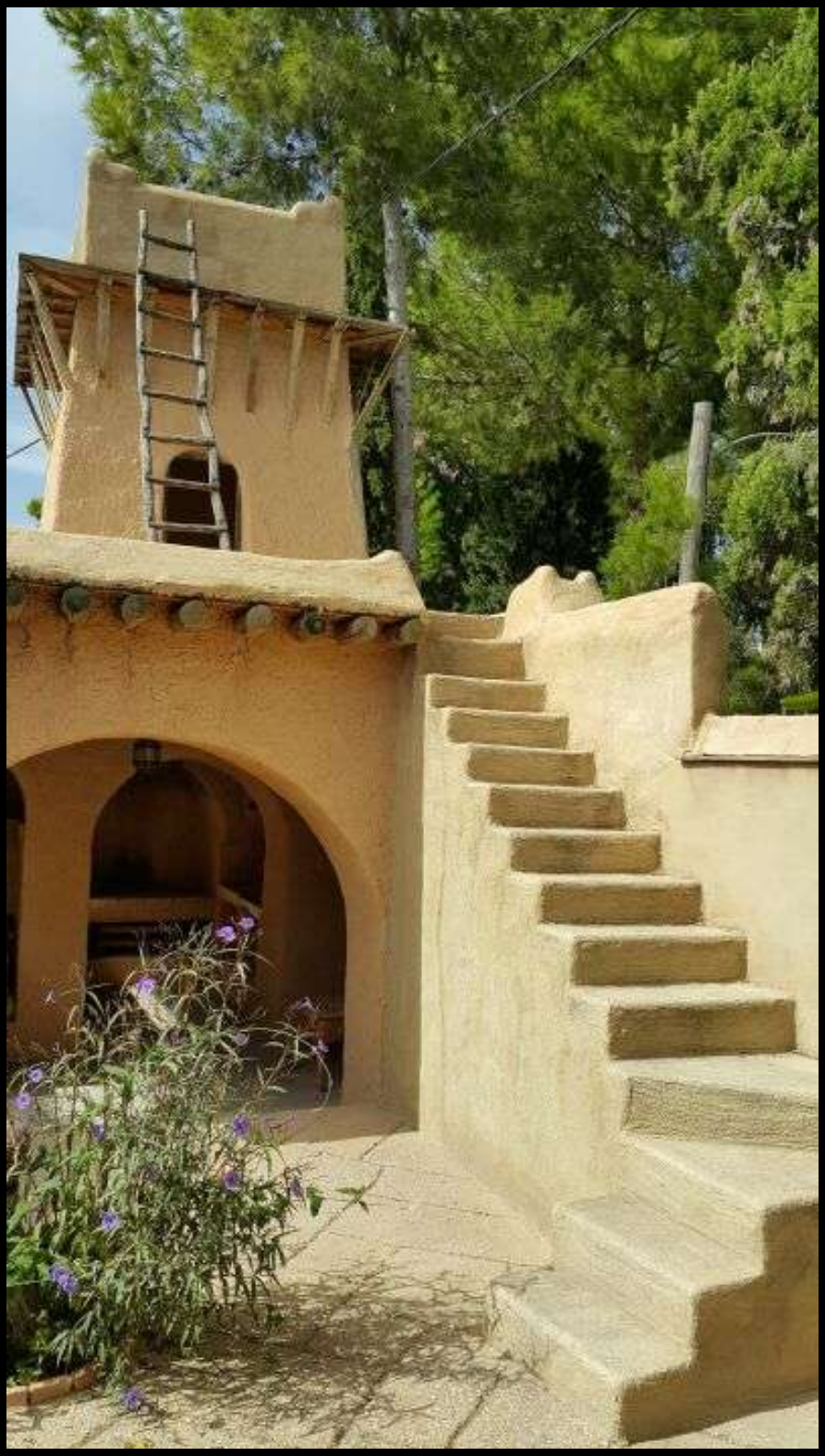

الخيمة

ومما يبهج الضيف كذلك: الخيام التي تعكس الطبيعة العربية القديمة، لكنه طور فكرتها، فجعل إحداها على السطح كما ترى، والأخرى على مساحة ضخمة لافتة.. فانظر معي:

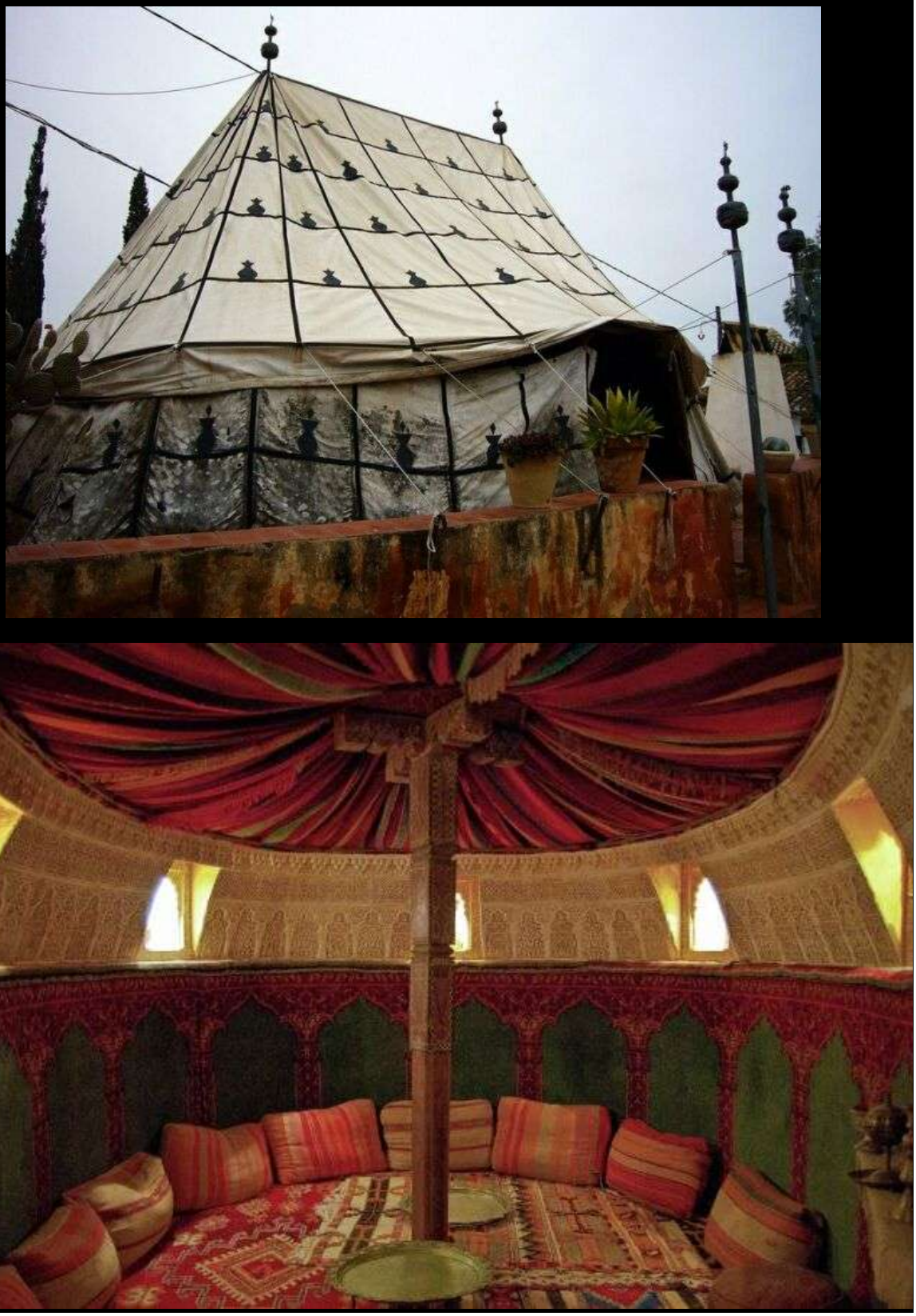

Carmen del Campillo

الجلسة البوذية

ومما وجدته لافتًا، وأنكرت وجوده، الأعمدة البوذية التي أقيمت تحتها جلسة عربية أنيقة بمحيطها الثرية بالخضرة والجميل.. فانظر معي:

ومما يحفل به المكان: التفاصيل الصغيرة والأدوات التي تستخدم في الحياة اليومية القديمة والحديثة، فاكتشف بعضها معي:

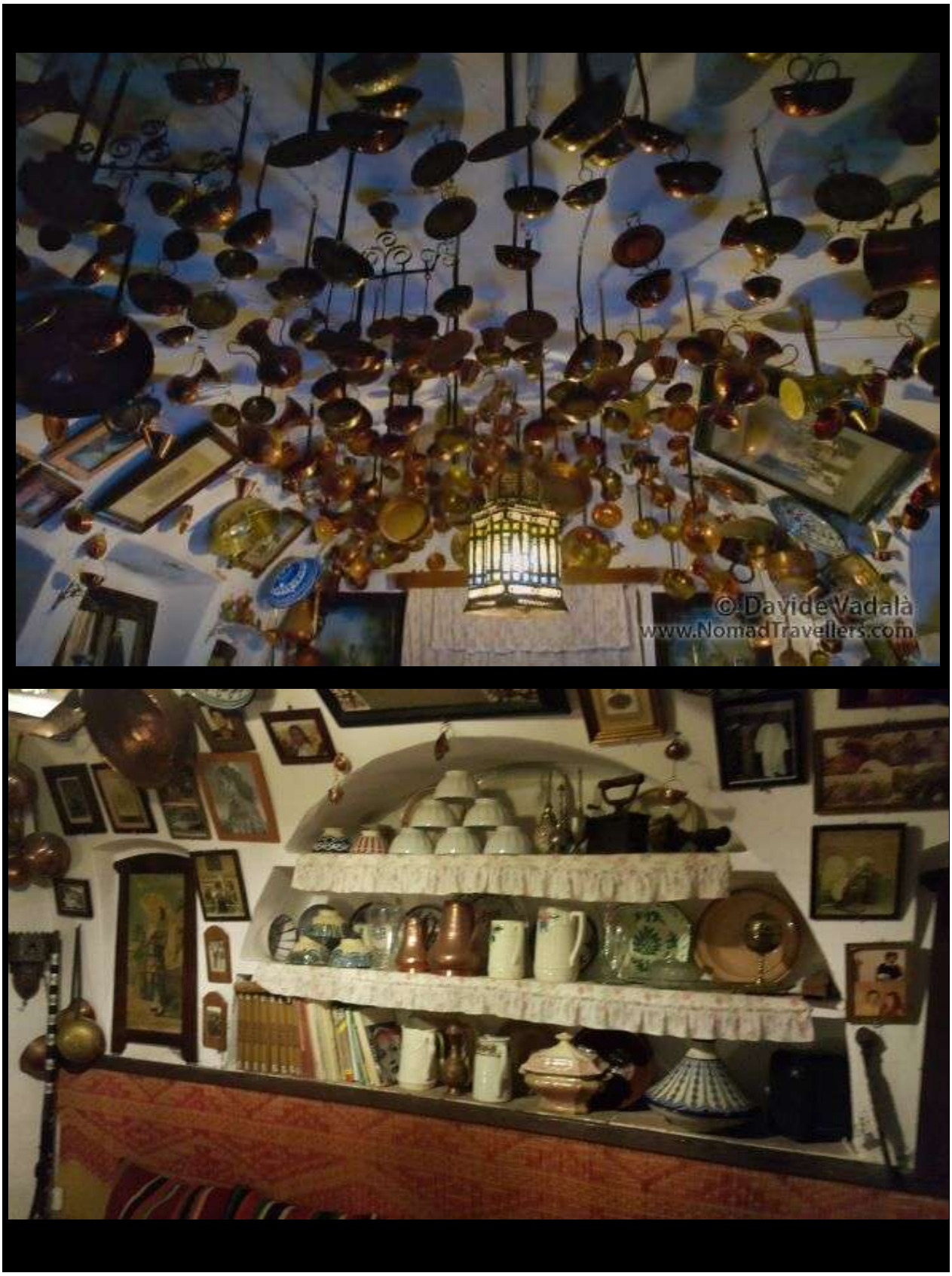
©Davide Vadalà
www.NomadTravellers.com

© Miguel Veny 2013

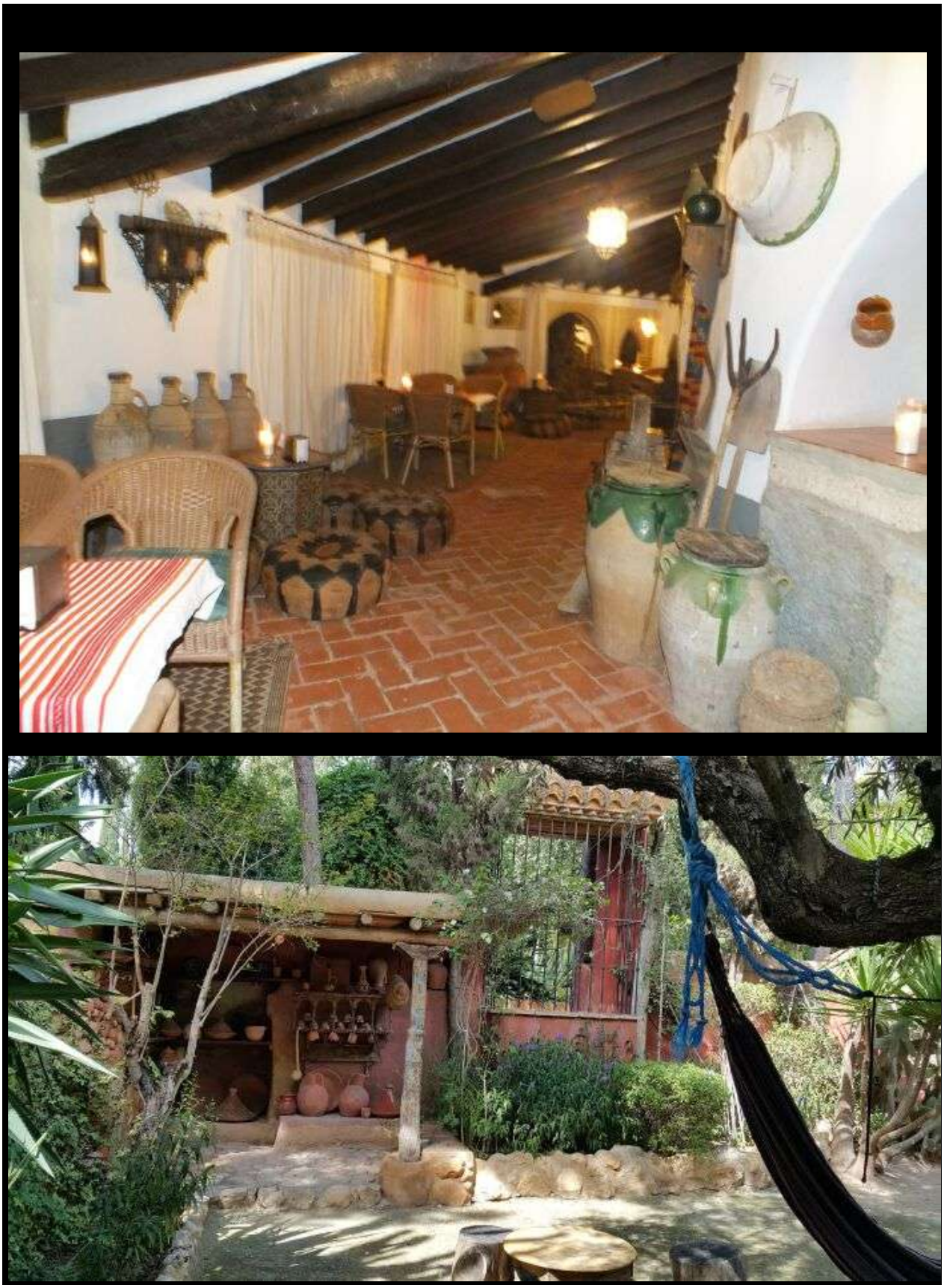

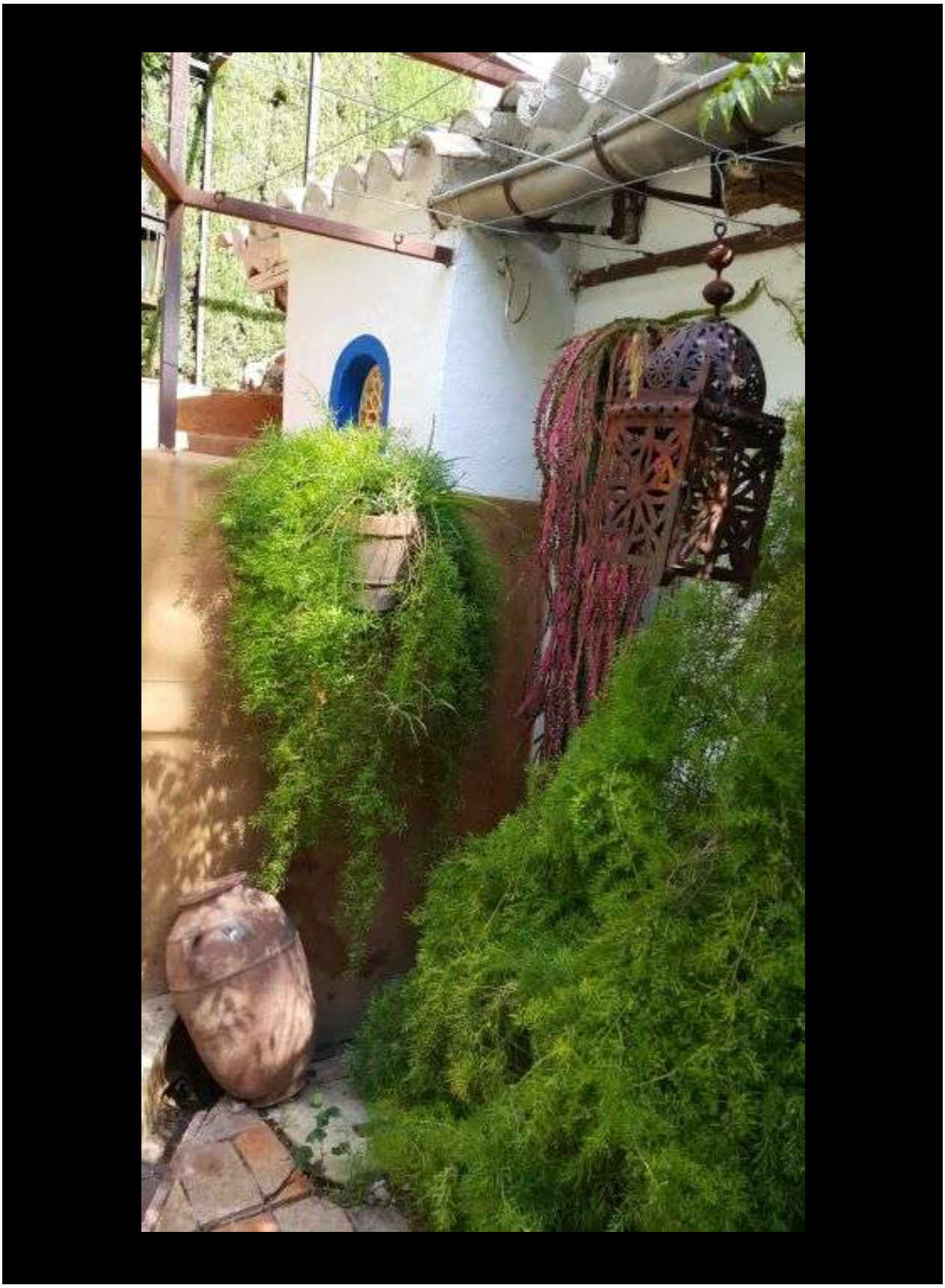

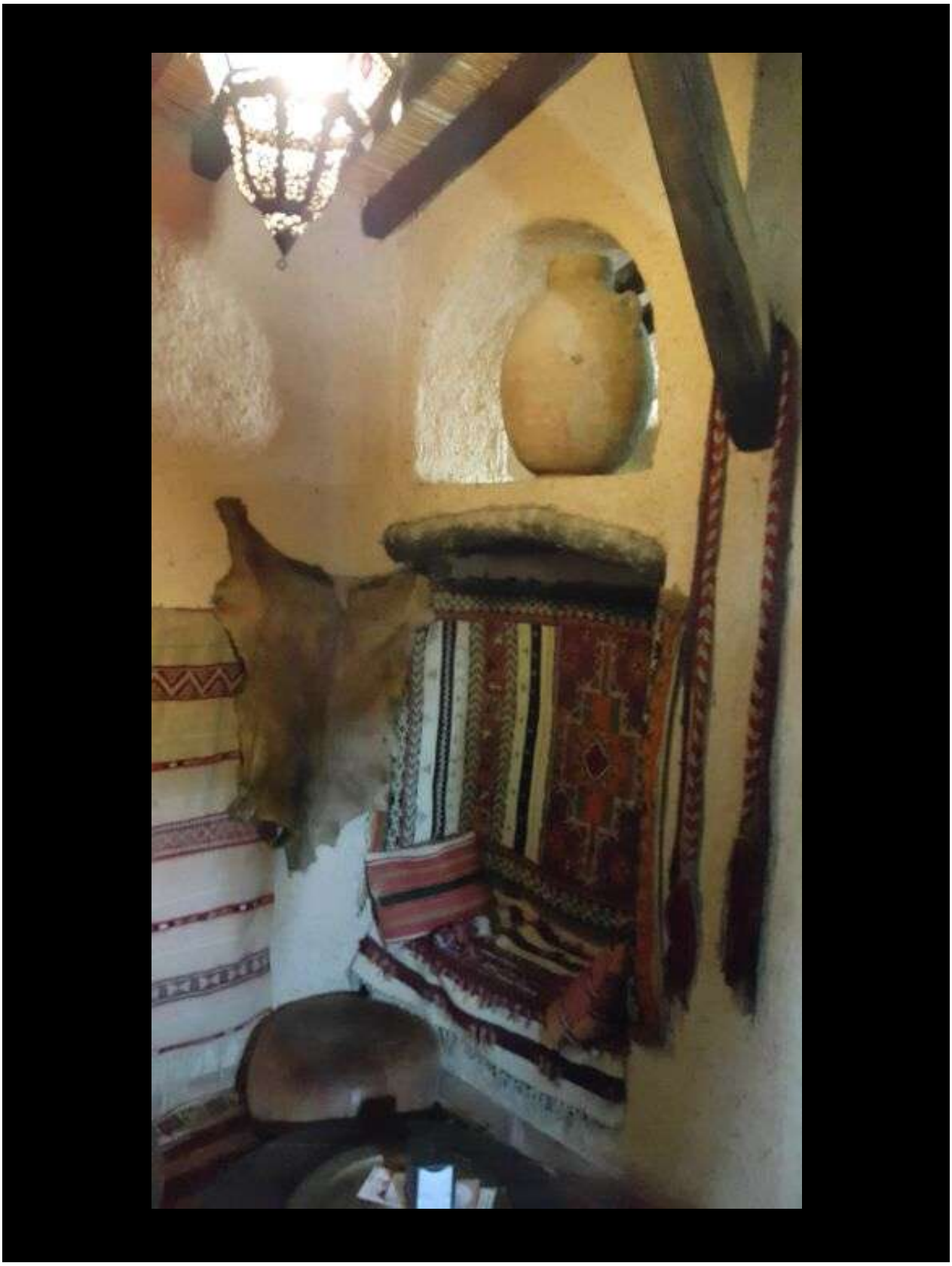

لا إله إلا الله

سلالم صاعدة وأخرى هابطة!

وتتناثر السلالم الصاعدة للسطح أو الهابطة لغرفٍ تبدو تحت مستوى سطح الأرض، درجها ضيق يكفي الشخص الواحد، لكنها تكمل الصورة بشكل بديع.. فاصعد بخيالك وانزل معي:

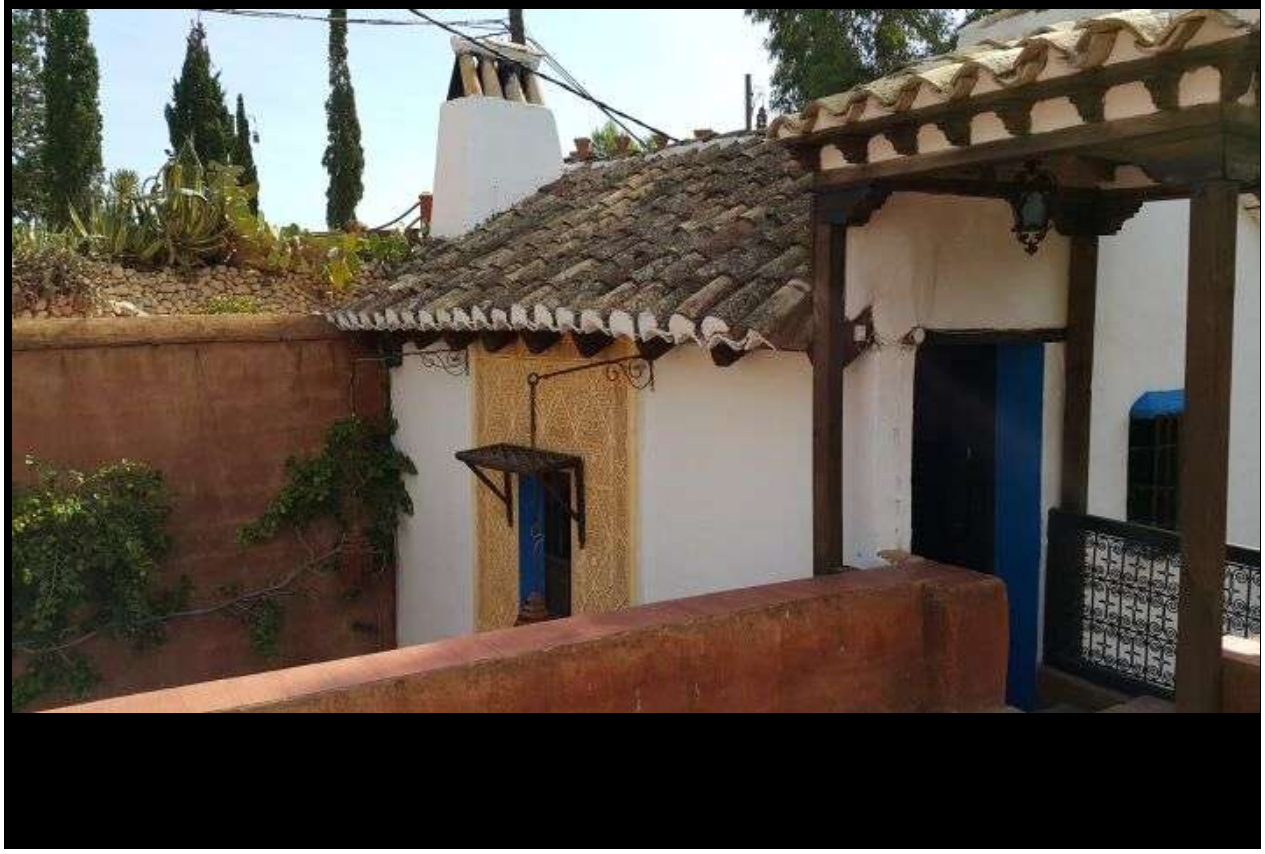

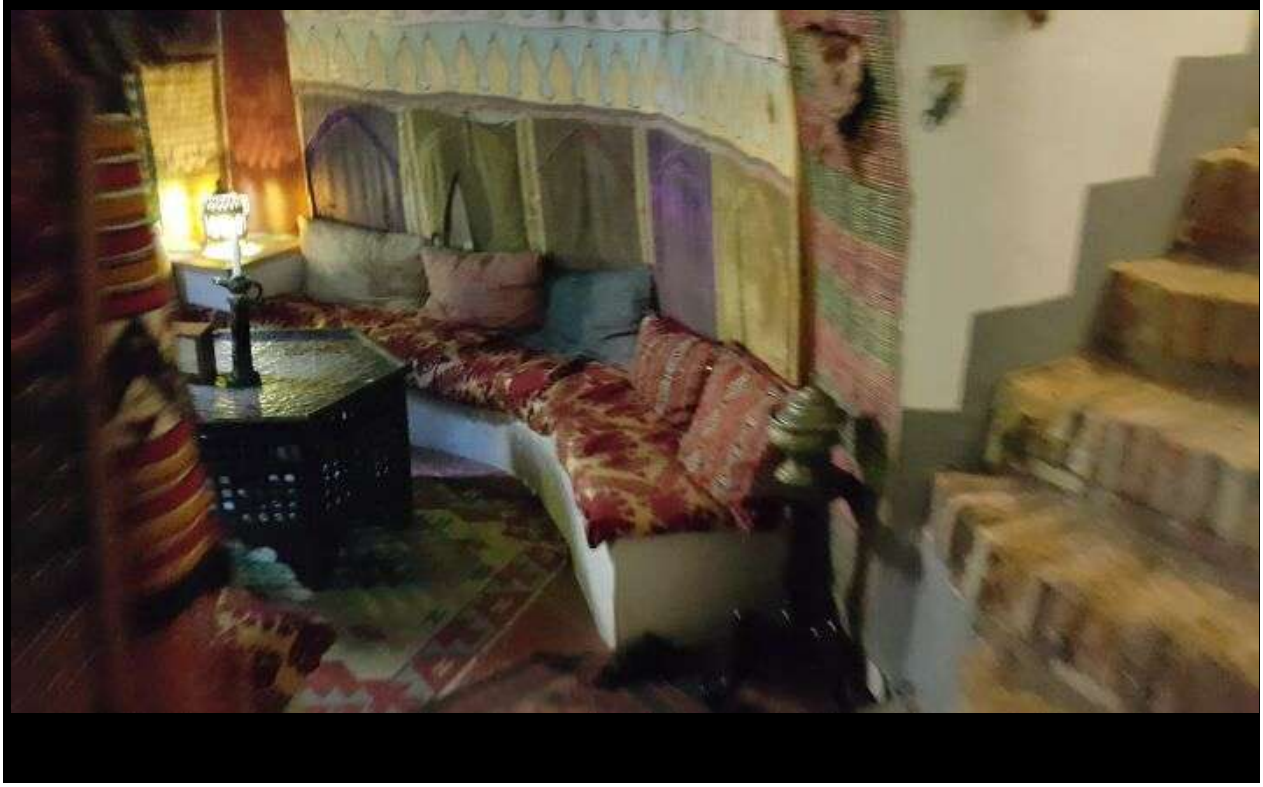

الطير والحيوان

ومثل هذا المكان الجنة لا يجوز أن يخلو من الطير والحيوان، وترجيعات التغاريد الطبيعية فاسمع بعين خيالك معي:

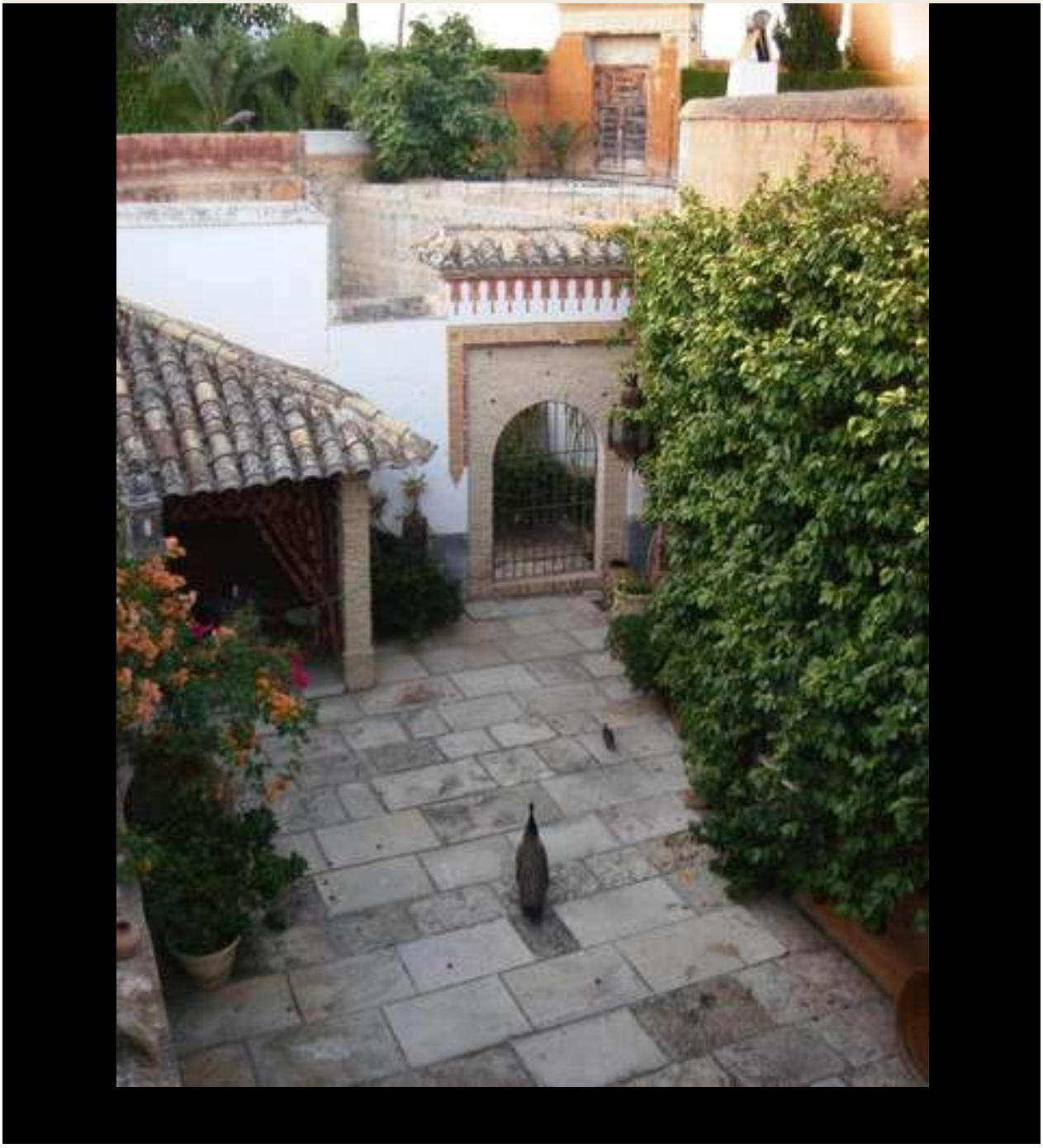

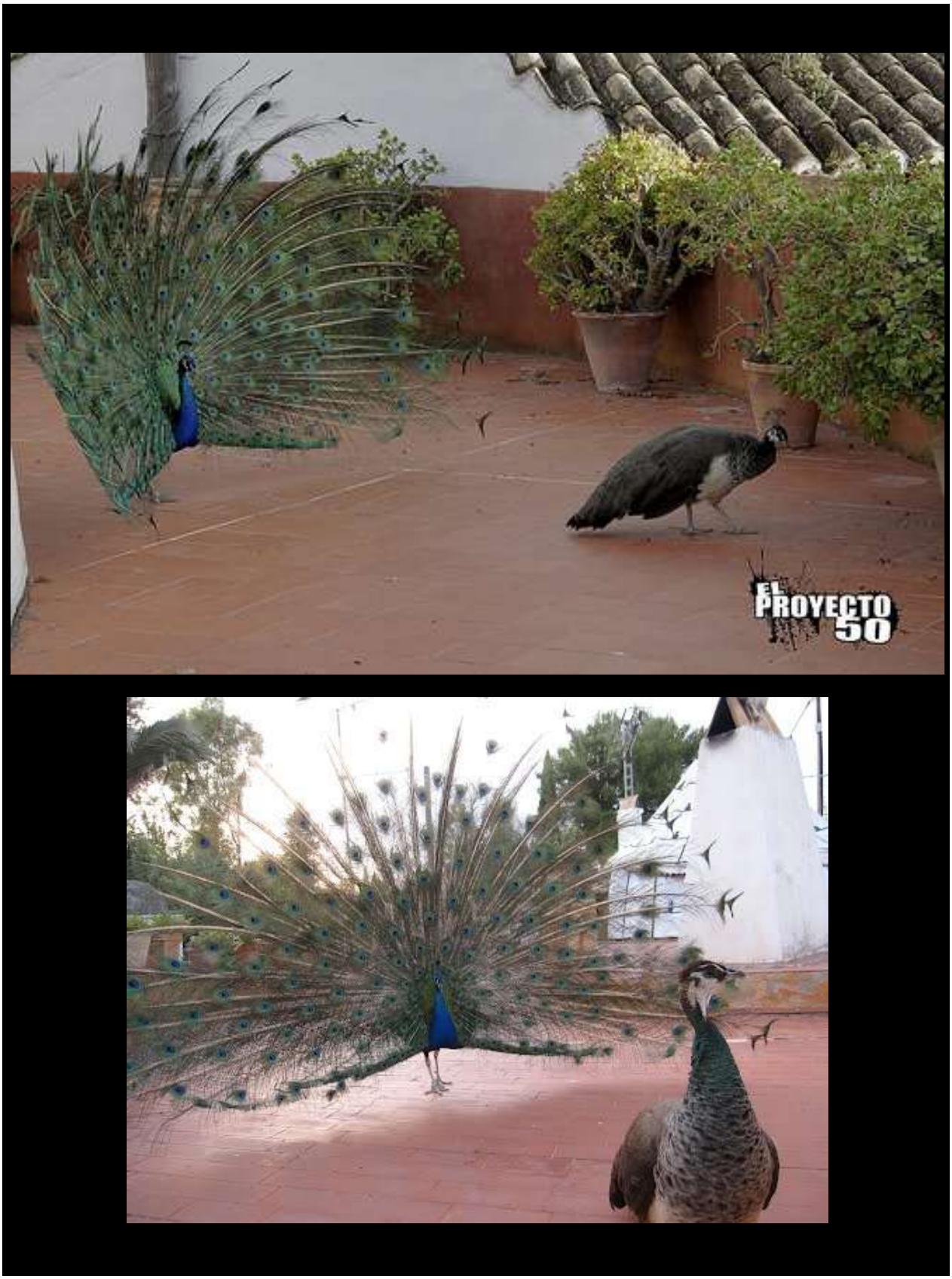
EL
PROYECTO
50

Carmen del Campillo

المصابيح والشموع

وحين يسدل الليل ستائره على الضيعة تتلألأ المصابيح والشموع المتناثرة في الأرجاء بسخاء، وتضفي مزيدًا من الجاذبية والسحر والغموض.. فأغمض عينيك وتأمل معي:

Viancam

الجلسات الفاتنة

ومن أبدع ما بالمكان تلك الجلسات الأرضية في الهواء الطلق بين الخضرة والنوافير وأصوات العصافير، أو في المساء تحت لألآت النجوم.. وهاكها بعضها:

© Arvikis

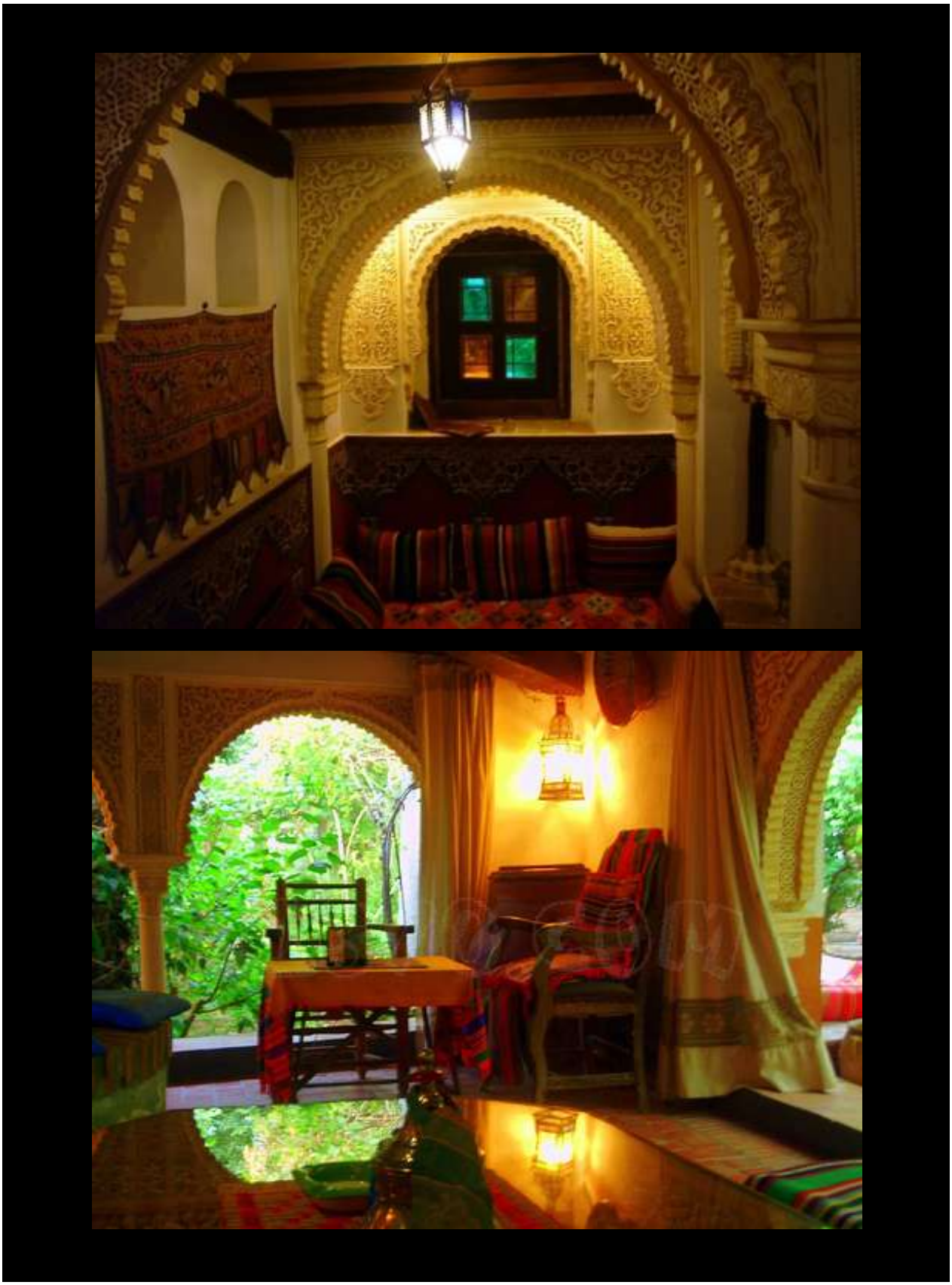

الصحبة المباركة

ولا تطيب مثل هذه الجولة إلا مع صحبة كريمة طيبة المعشر، جلها من دول المغرب العربي بجانب شامي ومصري، وكلهم لم يضن بجهد ولا وقت في سبيل إكرام ضيف عابر يرونه لأول مرة، فأحسن الله إليهم وجزاهم عني أحسن الجزاء: